مريض الاثنين و العشرين

يوسف الشّابي

بسم الله الرحمان الرحيم

و إن كان العالم يرى الغرابة و الاختلاف جنونا

فكيف ينظر هذا المجنون للعالم؟

مقّدمة و إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى كل شخص
كل شخص مريض عدي بمرض الحبّ أو الوحدة
كل شخص غريب عن وطنه أو ملازم لمسقط رأسه
كل شخص فاقد أو مالك لدفء العائلة
كل شخص جاهل لما بجوفه أو غارق في تفكيره
إلى كل شخص متناقض
بين النّور و الظلمة مثلي
يا أبتي الّذي كنت الساهر المجاهد لنومي هانئا
يا أماه الّتي حملتني تسعا بل حياتك كلها وهبتني إياها
يا خلي الّذي كنت الصديق الوفي الّذي آمنه سري
يا عزيزتي الّتي جعلتني أكتب لفرط حبي فيها
اعلموا أجمعين
أنني بخير
بل لست بخير
بل بخير
أنا فقط شخص متناقض لا يقوى السير
العالم لا يقوى النيل

بعض التّوصيات قبل قراءة الكتاب

أرجوك يا عزيزي أرجوك
أرجوك أن لا أكون قدوة بل عبرة لك و لأمثالك، ففي إتّباع خطاي غرق و احتراق
أرجوك أن لا تكون مثلا أو متعاطيا لحبوب الهلوسة، فسترى شبحي في منزلك، و اعلم أنني ذلك الشبح الميّت أمامك
فلا تفزع آنذاك
أرجوك أن يكون بجانبك طبيب أو عدّة طبية، فإن لم تعالج جروحك و تداويها قبل و بعد القراءة فستنزف بعد الموت لا قدر الله
أرجوك أن لا تكون سعيدا فيخيب أملك في الحياة أو تعيسا فتضع حدا لحياتك بيديك
أرجوك أن لا تكون شاهدا لحادثة موت أو ولادة، فإن كلمات هذا الكتاب ستشعل فتيل الحزن أو الفرحة
و تحترق مع مشاعرك
أرجوك أن ترمي بهذا الكتاب في النار بعد أو قبل قراءته، ف تركه على الرف سيزيد الأمور سوءا كلما رأيت شيئا مني أو من كتاباتي أمامك، فستهرع إلى هذا الكتاب كالمجنون و كأنك رأيت شيئا مألوفا
أرجوكم يا أحبتي أرجوكم الرجاء
أرجوكم أن لا تهرعوا كثيرا لي

فأنا بخير ليس بي من العلل الجسدية أو النفسية ما تفكرون به، إلا أنني لا أعلم إن كنت كاذبا أو صادقا

و في كلتا الحالتين أنا أخفي حقيقة مرة لا أدري ماهيتها

فلا تفزعوا

أبواب منزلي بل علتي بل فرحتي بل أبوابي

اعلم يا سيّدي القارئ أنّك بقراءة ما بعد هذه الصفحة توقّع عقدا معي
تمنحني إنسانيّتك و أمنحك ضالّتك الموعودة فاعلم أنّها عندي
و اعلم أنّ في تراجعك و إخلافك بالوعد هلاك للوفاء
فاحرص على أن تبقي العهد قارّا بيننا ، و إيّاك و أن تكون الخائن بيننا
فرغم علمي بما سيحدث، ها أنا أترك الأمور لتنساب
لا تقلق نفسك بالبحث عمّا تفعل آنذاك
فأنت الآن سيغريك فضولك للقراءة
و حتّى إن كنت سترجم بالجمر ستفعل ذلك على أيّة حال
المهمّ الأهمّ أن تعرف لماذا قسّمت الكتاب إلى عدّة أبواب و مصارع
فهذا الكتاب قد يغطّي عدّة أوجه و كلمات لا يمكن لكتلة واحدة احتمالها
و أريدك أن تعرف
أنّ هذا النّظام الّذي رصصت على منواله هذه الأحرف
ليس عشوائيّا
إنّما رتّبت هذه الأبواب حسب نظام أظنّه ضروريّا
فإنّي أظنّ أنّ مفتاح بعض الأبواب
عالق في قفل ما قبلها
فاحمل كلّ المفاتيح معك
فلن تفهم ما كان مغلقا عليه من طرف الأبواب
إلّا إذا كنت عارفا لما سبقه من أحجيات

فالحلّ أحجية
و الأحجية حلّها أحجية سبقتها
و هكذا أكون قد أوصلت فكرتي، و الأمر أمرك لا أمري

أغلق أنوار غرفتك الكئيبة

و ضع شمعة حذوك لتنير ليلتك الحزينة

و تدثّر جيّدا بأغطيتك الصّوفيّة

و البس نظّاراتك الطبّية

و ضع حذوك كأسا من القهوة السوداويّة

أو حتّى بعض الشّاي مع قليل من "الكاكاويّة"

و استمع إلى موسيقى تذكّرك بشعور الإنسانيّة

الباب الأوّل

مدينة الموتى

المصرع الأوّل: الخريطة إلى المدينة

المصرع الثّاني: مواطن في المدينة

المصرع الثّالث: الجثّة المرميّة

الخريطة إلى المدينة

أهلا يا عزيزتي
ها أنا أكتب لك و إليك
ها أنا أكتب و قد غمرني الشوق و الحنين إليك
ها أنا أكتب لعلك
لعلك تجدين في هذه الصفحات
ما ينير وجهك
ما ينير ظلماتك
آسف لم أستطع القدوم
فها أنا عالق
عالق في زحمة من أفكاري
بل زحمة من الجثث الفارغة المليئة باللامعنى
لكنني أكتب لك
خريطة لمدينة الموتى الأحياء
وهاهو موقعي
لعلك تجيدين قراءتها
و تجدينني
وتنتشلينني من بينهم
ها أنا أنتظر

أنتظرك
ها أنا أنتظر
ها أنا أحتمي بدرعي
و لكنني أعتقد أنه سينكسر قريبا
ولكن
ذكراك و ذكرى أحبّائي
تذكّرني بالأمل
و هذا ما يجعل درعي قويا
و هذا ما يجعل العقد الساري بيني و بين الجنة
عهدا بين الله و بيني
عهدا إلهيا فعالا على الدوام لا يمكن كسره
فجديني سريعا
لكي نطير عن هذه المدينة
لكي نطير عن هذا الدنس الأسود

مواطن في المدينة

كل ثانية تمر
و أنا منزعج
من ماذا؟
إنني أذبل
يوما بعد يوم
كل لحظة تمر
أستنفذ فيها كياني
و لا أعلم كيف يعاد امتلاء فؤادي
و لا أعلم إلى متى سيعاد امتلاءه
إن العيش يا عزيزتي
لم يكن فرحة أو افتخارا بالحياة
لم يكن كذلك قط
إن هذه الدنيا اختبار
اختبار لنا
لكي نرى إن كنا أهلا للجنة الموعودة
أو سجناء لجهنم الحارقة
كل حركة
كل نفس

كل طرفة عين
يكتب كل شيء في كتب
لا نعلم ميزانها
و ندعي أننا ندرك ما نفعل
لكننا نكذب على أنفسنا
كل فعل نفعله
نفعله من باب الإحساس بالإنسانية
ولكنني
أنا العاقل الفاقد للحس
أنا الوحيد الّذي لم يجرؤ على الإحساس
علمت منذ أزل أنني أراقب
هذا لم أجرؤ
بل إن هذا عذر
أنا ضعيف الإنسانية
أنا اهو الضعيف
أنا اهو الّذي مهما حاول
لن يفهم هذا العالم
لن يفهم أية مفاهيم
اخترعوا مفاهيم مبنية
على أسس توهموها
من رجولة
و صداقة

و حب و عقل
و صلاح و فساد
لم أستطع يوما فهم ذلك
أنا الوحيد الّذي لم يستطع فهم نفسه حتى
هل أنا العاقل الوحيد؟
أم أنا الماجن الوحيد؟
ففي كلتا الحالتين
أنا المجنون الوحيد في نظرهم!
إنني أحتاج إلى جرعة من الحياة
فعصارة روحي لم تعد صالحة للشرب!
أصبحت بغير لون
أحتاج إلى أحد ينتشلني من الغرق
في مستنقع من ضعفي الإنسانيّ
ها أنا أتوسّل
و في الأخير

الجثّة المرميّة

أربعة عشر
أربعة عشر عاما
أربعة عشر عاما قضيتها أسكن هذه المدينة
لا أعلم كيف صمدت
لكنّني صمدت
نظرت إلى يديّ
لا آثار جروح و لا خدشا حتّى
تردّدت في التّصديق
"أ من المعقول أن أتجاوز كلّ تلك العقبات
أنا،
أنا الإنسان الهشّ الرّقيق؟"
إلى أن أتى أحد الأحباب
هنّأني
لم أدر لما
سألته عن سبب ذلك
فقال لي أن أنظر إلى غيري من المصابين المجروحين
و هنّأني على التّجاوز
...

صُدمت

نعم يا سادتي الكرام، لقد صُدمت

صُدمت كيف يراني الآخرون مثلا للتّجاوز

و مازلت أنا في نفس البئر منذ أزل

أريد أن أبكي

أن أصرخ

لم أتغيّر

ما زلت عالقا

و مازلت سأبقى عالقا

...

و أنظر إلى المرآة

فأرى شخصا آخر غير الّذي اعتدت رؤيته يوميّا

فأبكي

"أبكي عليك و على نفسي

و أبكي ما ضاع من أمسي

وما يضيع من غدي

و أبكي دنيا قتلتني

بعدما ولدتني"

الباب الثّاني

الحديقة

المصرع الأوّل: الحديقة

المصرع الثّاني: ما وراء السياج

المصرع الثّالث: زهرة جديدة

الحديقة

أرى العالم حديقة خضراء
خضراء تعجّ بالورود و الزهور
منها البيضاء و منها الحمراء
و منها السوداء و منها الزرقاء
فيها الورود بكلّ أنواعها
و لكن أرى أنّ أندرها
هي زهرة عبّاد الشمس
تلك الزهرة الّتي لا تفارق اتّجاهها
دائما ما تواجه الشمس
و رغم العواصف،
و الأمطار و الرياح
الّتي أفسدت و أذبلت غيرها من الزهور و الورود
ظلّت و ستظلّ واقفة
متّجهة نحو الشمس
و ها نحن نتساءل
لما هي الوحيدة
الّتي مازالت تشاهد الأفق
أملا في شمس لن تعود؟

لما هي الوحيدة
الّتي ما زالت واقفة شامخة
رغم سيل من الفيضانات؟
و لكن
في آخر الدّهر
هاهي الشمس تشرق
و أوّل من يستقبل أشعّتها الذهبيّة
زهرة عبّاد الشمس

ما وراء السّياج

كان يا مكان
في قديم الزمان
طفل بل شابّ في ريعان الشّباب
في أوجّ القوّة و العطاء
كان منزله حديقة
حديقة كالّتي تخطر على بالك فور الآن،
قطعة من الجنّة
نسيمها يشفي العليل
جمالها بنعش المعافى
وجدت العصافير فيها ملاذا آمنا
فلم تفارقها مطلقا
إن رأيت هذه الحديقة
ستشعر أنّها مألوفة
مألوفة بشكل جميل مخيف جميل
المهمّ
عاش هذا الطفل بل الشّاب
حياة هنيئة بهيجة
و في يوم ما خطر له

ما الّذي يوجد وراء السّياج؟
لماذا أمكث وحيدا أجالس ظلّي و يجالسني؟
لماذا كلّما أستذكر هذه الحديقة أشعر بالسعادة؟
لماذا؟
عندها
عندها فقط
يقرّر الفتى
أن يقفز فوق السور
و يرى ما وراء السّياج
و يا هول ما رأى
تلك الأزهار اليانعة...
وجدها مدهوسة تحت الأقدام
فقدت ألوانها إذ ذهبت بها ألسنة النّار
و تلك الأشجار...
لم ير منها سوى أدنى الجّذع إذ قُطع ما فوقه
و تبع آثار جرّ الجّثث فوجد المدينة
المدينة محتلّة ما حولها من الأرض الخضراء
أو الأصحّ القول الأرض الصّناعيّة الآن
إذ ذهبت تلك الخضرة
ذهبت و ولّت
و لم يبق شيء
و احتلّ اللون الرّماديّ الميّت المكان

انتصبت المدينة بمبانيها و معمارها الغريب
وقتلت كلّ شكل حيوانيّ نباتيّ
بثّت فيه الطّبيعة بأناملها الحياة تجري في عروقه
و أصبحت هذه الحياة ميّتة
ميّتة تعاد إلى الحياة
حياة ثانية لا تستحقّ اسمها حتّى
إذ حاول الإنس ضخّ الحياة في الألوان الزّيتية
و جعلها تبعث الحياة من جديد في لوحات تعلّق في المتاحف
في غرض بعث الحياة في البشر
لكنّ نزعتهم هذه إلى إزالة كلّ طبيعة و استبدالها بصناعاتهم
فشلت
و لم تكن يوما في مستوى الطّبيعة
إذ خلق الإنس وحشا
وحشا قتل الطّبيعة
قتل تلك الحياة الخضراء
علت صرخاته المتوحّشة الفارغة من الحياة السّماء
و أنستنا صوت العصافير
مهلا
العصافير
أين هي؟
أين ألحانها العذبة؟
هاهي

سُجنت في أقفاص
يحاول الوحوش "الحفاظ عليها"
و يجبرونها بالسّلاسل عل الغناء غصبا عنها
و أصبحت نغماتها حكرا بالمال
و ما يزيد على حاجة الإنس من الحيوان
يُقتل
يُصلّب
تُعلّق الجثث من أمعاءها
فمات الصّوت
ماتت الحيوانات
ماتت الطّبيعة
مات كلّ شيء
...
التفت الشّاب إلى مرآة
فوجد نفسه كهلا شيخا
لم يعد ذلك الطّفل البريء
تعتري جسده آثار الحرب
و التفت إلى تلك الحديقة
أراد الرّجوع إليها
لم يقدر على ذلك
و نظر ثانية
و وجد الآلاف من أمثاله

يقفزون من فوق السّور
و يقعون في الهوّة
و كلّهم أتوا لنفس السّبب
و كلّهم يتشاركون نفس المصير
فأدرك الشّاب الكهل أنّه لم يكن بمفرده
و أنّ وحدته كانت لقصر نظره
فرأى نفسه فقط
و التفت ثالثة غلى الحديقة
لم يجدها
اختفت
فعلم آنذاك
أنّ قفزه من السّور و كلّ شيء من بعد ذلك
كان مظهرا من مظاهر عمليّة بشريّة
ألا هي البلوغ
إنّ الحديقة ليست سوى عالم للأطفال
و ربّما الأرواح النّقيّة

زهرة جديدة

احترقت الحديقة
احترقت تلك الحديقة الخضراء بما فيها من نبات و شجر و زهر
احترق كلّ ذلك
و بنوا فوق الرّماد عماراتهم و مبانيهم
و أصبح اللّون السّائد هو لون الرّماد
و اختفت الحدائق من الوجود
...
و بين عمارتين وجدت يوما
شيئا أخضر ميّزته عيناي على الفور
مهلا، هناك لون أحمر
إنّها زهرة.... وردة حمراء
إذا، فالأمل حقّا موجود
أسطورة الأمل حقّا موجودة
ربّما من قال أنّ الأمل سيولد من جديد على حقّ
ربّما هذه بداية جديدة
ولادة زهرة جديدة من العدم
ولادة جميلة

الباب الثّالث

القلم و السّيف

المصرع الأول: القلم

المصرع الثّاني: السيف

القلم

"أ بهذا؟
أ بهذا القلم أكتب يا أبتي؟
أ بهذا القلم البائس أكتب يا أبتي أمام الآخرين؟
حتما لا
لن أكتب بما يشابه العود المحترق المتهرّئ
لن أكتب بما يشابه الفقر
و ما يشابه المجاعة
و كلّ ما يحتويه معجم البأس و الحضيض
أتركنّ قلمك عندك
فيا أيّها العجوز
اعلم أنّ قلمك هذا لن ينفعنّني أمام الآخرين
سأبتاع قلما جديدا
و استمتع أنت بعودك البائس أو أيّما كان من المهملات"
...
كانت هذه الكلمات الّتي سمعها العجوز البائس
كانت هذه الكلمات الّتي صفعته صفعا مؤلما
كانت هذه الكلمات الّتي باح بها الشّابّ الغاضب
كانت هذه الكلمات الّتي حملت مدى غضبه بل غضبه

...

خرج الشّاب غاضبا و ترك العجوز حزينا

و كلّ في قلبه غصّة

أحدهما أراد جديدا فوجد قديما لا يرضيه

و الآخر أراد ابتسامة فوجد دمعة تجري على خدّه

و الاثنان خاب أملهما في الآخر

أحدهما ينبذ الآخر لبخله

و الآخر ينبذ نفسه لتقصيره

...

"آه

آه يا بنيّ

ماذا فعلت من قبيح ذميم

لأنال مثل هذا العقاب؟

ألم يرضك القلم القديم لهذا الحدّ

أم الخطأ خطئي؟

أخيّبت أملك و كسرته،

أنا الّذي كنت مشعل تلك الشمعة على الدوام؟

لماذا

لماذا يا بنيّ

لماذا يا بنيّ

أكان عليك الصراخ يا بنيّ؟

لا ليس العيب منّك

ليس منّك إنّما منّي
لم أكسوك جيّدا عندما كان الصقيع قارصا، و مثلك ينعم بدفء مرقده
لم ألبسك جيّدا عندما كان اللّباس معيارا، و مثلك يتباهي بملابسه الأنيقة
لم أعلّمك جيّدا عندما كان العلم ضرورة، و مثلك ينهل من الكتب علما مفيدا
لم أجد تربيتك
و ها أنا ألقى ما جاهدت له فيك
و ها أنا أواجه انعكاسي فيك
و ذلك القلم
...
ذلك القلم
ظننت أنّ فيه شرفا
شرف آباءك
شرف آباءك و أجدادك من قبلك
شرف أولئك الذين جعلوا من القلم الحبر إبداعا
أولئك الذين صنعوا من ست و عشرين حرفا
صنعوا أعجوبات يشهد عليها التّاريخ
بكتبه و مكتباته
أو كما كان مقدّما لي من أوهام
ربّما كلّ هذا كذب و زعم
ربّما هذا القلم ليس بالشّرف المزعوم
ربّما ليس القلم إلاّ قطعة مهترءة
...

ربّما لهذا العجوز أن يريح نفسه
و يريح ابنه
و يريح الجميع
و يسديهم معروفا
و ينام
و لكن
لأصلّي أوّلا
و ربّما بعد ذلك
سيأتي الوقت بل وقتي
و ينظر الرحمان في أمري"
و صلّى العجوز
و بكى
و بكى
و بكى
و بكى إلى أن جفّ الدمع على خدّه
و برد جسمه برودا أبديّا
و سكت قلبه سكوتا نهائيّا
و نطق الشهادة
و أغلق عينيه
و مات بسلام
...
اللّه أكبر

اللّهم ارحم هذا العجوز و أمثاله
إذ كان ذنبهم الوحيد
المحاولة و إعادة المحاولة
لأجل إرضاء من لا يرضيهم شيء
و بمناسبة الحديث عنهم
هل رأيتهم؟
فلم أجدهم مطلقا منذ صبحيّة اليوم
اليوم الّذي مات فيه العجوز
و نفذ الحبر من القلم و مات القلم
مات القلم
و ماتت معه عهود من الإبداع
انتهت
انتهت
انتهت
و أصبحت تاريخا
تاريخا منسيّا

السّيف

يا قوم اللّه ناهي غايتكم؟
الجهاد
الجهاد لمن؟
الجهاد في سبيل الله
بماذا تجاهدون؟
بالسّيف
و ما السّيف عندكم؟
نصل من فولاذ حديد حادّ قاطع
و مقبض من جلد رفيع فخم
ذلك السيف عندكم؟
و من أين قيل لكم ذلك؟
ألا تشهد كتب التاريخ
أنّ الفتوحات و الغزوات
لم تتمّ إلّا بالسّيف؟
و إن كان الرسول على رأس الفاتحين
فما إمّنا في الإتّباع؟
يا أيّها القوم
لا أفهم إسلامكم

تظنّون أن في الإتّباع، و إن كان أعمى، الصلاح
و هل أنتم بمدركين
لما أنتم بفاعلين؟
إنّ الجهاد في سبيل اللّه
ليس فقط في الفتح و الغزو
فذلك لفترة قد ولّت
و ليس بالسّلاح و لا بالقوّة و لا بالدّماء
فمنذ متى أصبح دين السلام دينا للسّلاح؟
يا قوم الله
أريد أن أقول لكم
أنّ تصوّركم للجهاد
غير صالح و يحتاج للتقويم
صحيح أنّ أجدادنا من الصّالحين قد جاهدوا بالسّيف
لكنّ ذلك كان في عصر السّيف
و نحن في أيّ عصر؟
عصر القلم
إنّ الجهاد اليوم
هو الجهاد في طلب العلم لا بتركه
هو الجهاد في هدي الكافر للإسلام لا بإكراهه
هو الجهاد في تنمية البشريّة لا بقتلها
هو الجهاد في إتّباع ما أمر به الله لا بما تأمر به أنفسكم
و إنّي أسألكنّ

هل حثّ ديننا الكريم على القتل؟
أو الإرهاب؟
أو إسالة الدماء؟
حتما لا
فيا إخوتي
فيا قوم الله
إنّي أدعوكم لأن تسلموا
و أن تجاهدوا
بسيف العدل
و بسيف العلم
و بسيف السلام
لا بسيف القتل و الظلم
فإنّ الجهاد
لم يكن يوما بسفك الدماء
فأفيقوا يا إخوتي أفيقوا من سباتكم
إنّ القلم أصبح أحدّ من السيف

الباب الرابع

أشواك السّلام

المصرع الأول: الشّوك في الورد

المصرع الثّاني: الورد ما بين الجذور الشائكة

الشّوك في الورد

أهلا عزيزتي
كيف حالك اليوم؟
الحمد لله بخير
أنظري يا عزيزتي ما أحضرته
خصّيصا لك
أنظري،
وردة حمراء،
كالّتي تحبّينها أنت
ها أنا أقدّمها لك
عربون محبّة
إذ أنّ غايتي من هذه الوردة
إسعادك طبعا
و هل هناك ما يفوق ابتسامتك جمالا؟
طبعا لا
فابتسامتك تكفي أن تشفي العليل
تكفيني لكي ابتسم أنا الكئيب
و إنّ في غرض إسعادك أريد
أريد أن تحمل هذه الوردة حبّي لك

و إن حملت مقدارا فلا بأس
سأجلب لك ألف وردة حمراء إن تطلّب الأمر
سأفعل ما يجب لكي أرى تلك الابتسامة
تلك الابتسامة ناصعة البياض على محيّاك
ففي فرحتك فرحتي
...
ما بك يا عزيزتي؟
أتلحظين شيئا في يدي هذه؟
يدي هذه الّتي ملأها الشّوك؟
لا تقلقي إنّما هذا الشّوك لا يحول دون فرحتك
مهلا لا تقلبي ابتسامك تحيّرا عليّ
سأخبرك
...
في الحقيقة إنّ هذا الشّوك يُؤلم
و إنّ مصدر هذا الشّوك هو هذه الوردة
فورد الحبّ تصحبه أشواك و أشواق كثيرة
منها أشواك المجتمع
الّذي ارتأى في حبّي العيب
و انحطاط القيمة و الكرامة
و انخفاض الأخلاق إلى الحضيض
و جعل منه حبّا لا يجدي صاحبه
فيراني ناقدهم إمّا أجري وراء الاهتمام ككلب الشّوارع الذّليل

و إمّا أعيش حلما جميلا غير مدرك أنّه كلّه وهم
حسنا إذا
شئتم أم أبيتم ما أنا بذليل أو حالم
ما أنا بذليل أقلّل من كرامتي لغيري
فهل هكذا ربّاني والداي؟
طبعا لا
و ما أنا بحالم أعيش وهما جميلا
أنا عالم و واع بما أفعله
و لا أتظاهر بذلك
و أنا عالم واع بما سيحدث
أنا لا أدّعي التكهّن أو شيئا من هذا القبيل
أظنّ فقط أنّني ورثت هذه النّظرة الثّاقبة عن أبي
و رغم معرفتي بما سيحدث
لم أحرّك ساكنا و لا إصبعا
أتعلم لماذا؟
لأنّني دائما ما أعتقد
أنّ الإحساس بالألم جميل
ما دام ما بعد الألم أجمل
أعلم أنّني لو صبرت و فعلت ما عليّ
سيأتي وقت و أنال ذلك الجميل
ذلك الجميل الّذي قلتم عنه حلما
ذلك الجميل الّذي انتظرت له دهرا

و تحمّلت له ألم الشّوك
ألم أشواك الكره
كره اللّائمين عليّ حبّي
اعلموا أنّ كرهكم لحبّي و إن أنكرتموه في أنفسكم
يجعلني أقوى
و في استسلامكم و تركككم إيّاي أقوى أكثر و أكثر
و ها أنت يا عزيزتي
تأتين إليّ
و تقولين لي أنّ حبّي لن يجدي
أعلم ذلك جيّدا
أعلم أنّني في نظرك بمرتبة الصّديق لا غير
و اعلمي أنّ ذلك يرضيني
و إن كان أدنى من مقصدي
فأنا أصبر
لأنّني أعلم أنّ هذا الصّديق
سيصبح إمّا محبّا أو ذاكرة
و الاثنان يرضيانني ما داما يرضيانك
و ما يرضيني أنّني قدّمت هذه الوردة إلى الشّخص الصحيح
بالطّريقة الّتي تترك عبقها الزّكيّ يمتزج بالذّكريات السّعيدة
و بالطّريقة الّتي تجعل الفوز بما احلم به أزكى
فها أنا أنتظر يا عزيزتي
أنتظر أن تأخذي وردتي

و أن لا تقتلعي أشواكي
فالورد ذو الشّوك أجمل
و أنت تعلمين ذلك
فهذه الوردة هي ما أحببت
و أتمنّى أن أقرأ هذا النصّ
و أنا أتمتّع بعبق الوردة
و أتمتّع بسماع ألحان من غيتارتك
و إن كان الاثنان ذاكرة أو حاضرة
فسأسعد
لسعادتك آنذاك

الورد ما بين الجّذور الشّائكة

أترى يا سيّدي القارئ؟
أترين يا عزيزتي؟
أترون ما أرى؟
مهلا، ماذا ترون؟
تقولان لي أنّكما تريان كتلة
كتلة من الجّذور و الفروع الشّائكة
حسنا لكم ذلك
لكنّ ألا تريان تلك الوردة؟
تلك الوردة الحمراء طيّبة الرّائحة
محاصرة بين الجذور الشّائكة
...
طبعا، سيصعب على المّار رؤية هذه الوردة
ما دامت أشواك الحقد و الكذب تحاصرها من كلّ الجوانب
فكيف عساها أن ترى النّور؟
كيف عساها تُرى بعين الاهتمام
إن كان جامّ اهتمامه تلك الأشواك الملعونة؟
و الآن تتساءلان عن ماهيّة تلك الأشواك
أعلم ذلك

إذا فاسمعا جيّدا
إنّ الوردة كانت في الأصل وحيدة حرّة
في أرضها الخضراء
كان النّاس يحبّون هذه الوردة الحمراء
لكن أتى من زعم في حقّها
زعموا أنّها سامّة
و زعموا أنّها مزيّفة
و زعموا أنّها كاذبة
و أكثروا من الإشاعات
فخافت الوردة المهانة
بل خافت أن يأتوا و يقتلونها
فأحاطت نفسها بالجذور
و كانت هذه الجذور شائكة
فوجد اللّائمون في ذلك حجّة لتأكيد زائفات الإشاعات
فردم أهل الأرض هذه الوردة تحت التّراب المرّ
و أصبحت هذه الوردة
كومة متراكمة من الجذور الشّائكة
كالّتي ترونها الآن أمامكم بناظركم
فاعلموا يا أعزّائي
أنّ كلّ شيء ترونه أنتم فيه خطر
أعيدوا التفكير
فربّما تجدون داخلها شبحا

بل وردة حمراء

الباب الخامس

مملكة النحل

المصرع الوحيد: ملكة النحل و النحل

مملكة النّحل و النّحل

لأعجب الأمور في هذه الدّنيا
مملكة النّحل
تسير وفق نظام محكم
تتداخل المسالك و الطّرق
لا يرى الفرد الآخر في زحام من النّحل
و رغم ذلك تتكامل القوى و تصبح نظاما منسجما
انسجام النّوتات الموسيقيّة
إنّما تلك مملكة ناجحة
إنّما وجب علينا أخذ النّحل مثالا
في العمل
في الجدّ و الكدّ
في النّظام
في التّضحية
في الإفادة
و أين نحن من هذا يا سادة؟
نحن مجرّد عشّ ذباب عشوائيّ عشوائيّة الوقت
لسنا نحلات عاملات كادحات
بل متخاذلون

متخاذلون نعيش على اليابس
نعيش على الفتات
نعيش على البقايا و ما يبقى من الطّعام
لسنا نحلا منظّما
بل عشوائيّين هلاكنا دائم الورود
نفعل كلّ ما يخطر بأذهاننا دون التّفكير في عواقب ذلك
و ماذا أنتجنا؟
ماذا أنتجنا يا من ندعو أنفسنا نحلا؟
أنتجنا الفتن
أنتجنا الكره
أنتجنا الحروب
و لم ننتج عسلا
بل سمّا
نحن الدّاء
و عيشنا بلاء
و موتنا دواء
نحن الحثالة
حثالة المجتمع
و نعيش في مكبّ النّفايات
ننشر الرّعب في أرجاء مملكة النّحل
و نسرق العسل
و نلتذّ بحياة المذلّة و خيبات الأمل

نحن العدم
و لم نكن يوما الأمل
...
نحن الذّباب
و لسنا نحلا

الباب السادس

الملائكة و الدّنيا

المصرع الأول: للملائكة أقلام

المصرع الثّاني: للشّياطين ألسنة

للملائكة أقلام

كتب و أقلام
كتب و أقلام
كتب رغم صغر حجمها
تحمل في صفحاتها ما يعادل آلاف المكتبات
أقلام رغم رسمها لآلاف الحروف و الكلمات
تظلّ ممتلئة بحبر لا ينضب
إنّما هذا ما يصوّره العقل عند التّفكير بكتب الملائكة
كتب تدوّن فيها أهمّ التّفاصيل
كتب تمثّل الحاسم الّذي يؤثّر تأثيرا وثيقا في مصيرك
كتب
تسجّل فيها أفعالك و سكناتك
و طيّباتك و سيّئاتك
و حسناتك و زلّاتك
...
مرعب، أليس كذلك؟
ألا يرعبك وقع ذلك يا عزيزي؟
نعم، أحسّ بشعور القلق و التّوتّر لديك
يتفاقم

أكثر فأكثر
حتّى و إن أنكرت ذلك
إنكارك هذا تأكيد لشكّي
و تعظيم لشعورك بالقلق و الرّهبة
نعم يا عزيزي
إنّني واثق أنك تخاف محتوى تلك الصّفحات
أنك تخاف عاقبة الأشكال الحبريّة
إن كانت تزن خيرا أو شرّا
لكن يا عزيزي إنّ ما يريبني
يريبني بشكل مخيف
أولئك الّذين لا يخافون العاقبة
الّذين لا يخافون النّار
الّذين لا يخافون جهنّم
أمرهم يخيفني
ما الّذي فيهم و ليس فينا كي لا تخيفهم مثل هذه الأفكار؟
ما الّذي فيهم و ليس فينا كي ينسوا عذاب النّار؟
ما الّذي أعطاهم و لم يعطنا التّأكيد أنّهم نزلاء النّعيم
و أنّهم لهاربون من الجحيم؟
طبعا
تلك "الحرّية" الملعونة
بئسا لها و لها و لها
ظننّا أنّها مفتاح النّعيم

فأضحت تذكرة للجّحيم

لا

ليس الخطأ منهم

بل منهم و من الّذين أباحوا لهم الخطأ صوابا

فلو استبدلنا على سبيل المثال المقولة الشّهيرة

"للجدران آذان"

بـ"للملائكة أقلام"

لنشأ أمثالهم على مراقبة الذات

لا على مراقبة غيرهم من النّاس

نعم

أخشى أنّ الملائكة ليست الوحيدة

الّتي تمتلك كتبا

أصبح هؤلاء الأشخاص ذوي أقلام حتّى

يسجّلون ما طاب لهم من الزّلّات

و حتّى إن كان فيها ما لا يريدونه

يرقّعونها بالكذب و النفاق

نعم

ليست كتبهم حقيقة

إنّما تزوير و تلفيق

لا أعلم ما غايتهم تحديدا

لكنّني أعلم أنّها ليست خيرا

أتشاركني حيرتي يا سيّدي القارئ؟

لا تخف من إبداء رأيك
فقط الملائكة تصلها كلماتك لا تقلق
نعم، لا تقلق
فحتّى إن كذب الآخرون في حقّك
فاعلم أنّ أقلام الملائكة لا تكتب إلاّ الحقّ

للشّياطين ألسنة

ها أنت تخلد إلى نومك هانئا
لكنّك منهك كثيرا لذلك
فقررت أن تفتح مع نفسك محادثة
كالعادة
تحادث نفسك
و تخالجها بما أحسست اليوم
و بما غامرك من مشاعر
و كأنّك تجد في سرد المشاعر مباشرة نشوة
لكنّك تلاحظ شيئا غريبا
تلاحظ حدّة غير معتادة في صوتك
و كأنّما لست بالمخاطِب ولا المخاطَب
بل مستمعا لحديث لا يشملك
و تجد نفسك تبوح بما فيها من كره
كره تجاه جميع من تعرفهم
كره تمسكه بيديك فتحترق
و كأنّك لمست جمرا
و تشعر بأنّ هناك ما يقيّدك بسريرك
تحاول أن تتحرّك
و لكنّك غارق في أفكارك

تحاول أن تصرخ طلبا للنّجدة
و لكنّ صوتك غير مسموع
تصرخ بكلّ ما أوتي لك من طاقة
"أنقذوني"
و لا أحد يجيبك
و كأنّ صوتك فقد وزنه
بل و هل كان له وزن؟
بينما أنت تتخبّط في مأساتك
و ترفع يدك للسّماء طلبا
تنبت من النّار المحيطة بك أيدي
تتدلّى من السّقف
لتسكتك
و ها هو الشّيطان بنفسه
أمامك
تحدّق بالنّار تحاول الهروب من حدقة عينه
و هاهو يلوّح لك بيده
و بابتسامة مخيفة
و في كلّ خطوة يتقدّم
تتلاشي نفسك من الخوف
شيئا فشيئا
و يوسوس لك بكلمات غير مفهومة
و تتكاثر الأفكار السّلبيّة داخلك

كأنّما تحاول روحك النّجاة لكن بلا جدوى
ها أنت تكره نفسك الآن
و تكره كلّ شيء
و ما لك شيء لفعله
ليس لك سلاح
...
و لكنّك تبصر النّور حينما تذكر
تذكر أنّ سلاح المؤمن البسملة
و لكن
ما أنت بمؤمن و أفعالك تشهد على ذلك
و في لحظة تبلغ فيها من اليأس مبلغه
تنطق الشّهادتين
فيتلاشى الشّيطان
تتلاشى النّار
و كلّ شيء
و ها أنت تحمد اللّه و تشكره
و ما الحمد و الشكر بكافيين
و تنام
و تعلم أنّك في يد اللّه تنام
يد تقيك السّوء
تقيك الشّياطين

الباب السابع

ما ندمت فعله

المصرع الأول: النّدم

المصرع الثّاني: البكاء

النّدم

و في كلّ مرّة أخفق فيها
يعتريني النّدم
أندم أفعالي و زلّاتي
أندم حتّى حسناتي
أندم الحياة و ما فيها
و ما زلت أعدّ الآلام الّتي تنتظرني
و العدّ هو الوحيد الّذي ينسيني الألم
هل تعرف معنى أن يعترف شخص ما
بندمه أن يحفظ اسمك؟
هل تعرف ألم أن ترى
لا
أن تستمع من أحد الغرباء أنّات شخص تحبّه
يئنّ و أنت السّبب في أنّاته؟
هل تعرف ما هو شعور أن يتحوّل خلّك من صديق محبّ
إلى كارهك الدّائم
و أنت السّبب في ذلك؟
هل لك من التّجارب ما يوازي ألمها فقدان شخص و أشخاص
و ما الفقد إلّا بسببك؟
هل لك من الأحاسيس و المشاعر و الآلام ما يحمل شيئا من مقدار الآلام و النّدم

النّدم أنّك أنت؟
طبعا لن تجد شيئا
و لكنّك ستجد الكثير
و كلّها ذكريات ميّتة
ميّتة لأنّك تجاوزتها
و لم تعرها أيّ ندم
بل اعتبرتها دافعا كي تعيش
و هذا الفرق بيني و بينك:
لك من السّعادة ما يبقيك حيّا و يمنحك شيئا من الأمل
أمّا أنا
فليس لي ما لك
فأنا لا أؤمن بنفسي
حتّى أستطيع أن أقول عن نفسي أنّني مؤمن
و ليس لي من البهجة
ما يتيح لي الإيمان
أعلم أنّ بعد العسر يسرا
إن كلن بينهما صبر و إيمان
لكن مللت و قد قتلني الملل و ردم جثّتي الكئيبة في صفحات الماضي
فأصبحت عالقا بدوري بين آلام الماضي و أحزانه
لا أقوى الهروب
رغم أنّني قادر على ذلك
و كأنّ سلاسل النّدم تجرّني إلى القاع

و ما بيني و بين القاع إلّا النّدم
أندم على أمسي
و أعد نفسي بما هو أفضل
و ما وعودي في آخر المطاف
إلّا كذب معسول بالثّقة الّتي اصطنعتها
فما أفعله ليس سوى تمنية النّفس
بما يرضيها من باب أنّها تتعوّد على ذلك
و ما يقابلني اثر ذلك شيء إلّا الإخفاق
و الإخفاق ليس لسوء ظنّ اللّه بي
بل لسوء ظنّي بنفسي
فأندم
لأنّه ما عاد لي شيء لم يكلّله الإخفاق إلّا النّدم
فأندم
لأنّني بأفعالي و حتّى سكناتي
سأكون السّبب في حزن أحدهم
و هذا ما يبكيني

البكاء

و هذا ما يبكيني
أن يراني الجميع كخيبة أمل
عندما كنت أنا من أنرت لهم طريق الأمل
أن أكون الاختيار الأخير لمن اخترتهم بدلا عن نفسي
بل إنّ عدم تفكّرهم بي لأنقص ألما لي
أن أرى من أحبّ و هو يتألّم
و ليس لي من الأفعال ما يساعده
أن أبقى عاجزا أمام دموع رفيق العمر
فدموعه كالسّهام تقتلني في كلّ طعنة
أن أتألّم كثيرا
و ليس لي ما أفعله كي أنسى الآلام
فتجوب أشباح النّدم و اللّوم الغرفة دون نوم
فأجهش بالبكاء
و في ذلك "ضعف"
نعم يا سادتي،
في البكاء "ضعف"
و الحقيقة أنّ البكاء ليس لضعف الإنسان
بل لعدم استطاعته التّحمّل

و عدم استطاعته أن يستطيع التّحمّل
و ليس البكاء بالضّرورة ذرف الدّموع
و ليس البكاء بالضّرورة صاخبا
فالبكاء يمكن أن يكون داخليّا
فينزف قلبك الدّم و الألم
فالبكاء يمكن أن يكون صامتا
صامتا كالجنازة، جنازة أكثر الأشخاص شأنا لك
نفسك
و إن كانت أكثرها مذلّة لك
فالبكاء هو اغتسال داخليّ
غسل القلب بالماء الطّاهر
و إن كان القلب بركانا فيّاضا
و الماء جليدا لا أثر للحياة فيه
أمّا البكاء
فهو إفراغ القلب من المشاعر
ليسع ما بعدها من قادم
و هاهنا أترك صفحة سكوت
سلاما لقلبك الشّهيد
فقد مات عدّة مرّات
و له السّلام

الباب الثامن

الحياة

المصرع الأول: ما السّعادة؟

المصرع الثّاني: ما التّعاسة؟

المصرع الثالث: الحياة بحلوها و مرّها

ما السّعادة؟

ما هي السّعادة؟
هل أنّ السّعادة هي الحصول على كل ما تريده؟
هل أنّ السّعادة هي الاكتفاء الذّاتيّ بما لديك؟
هل أنّ السّعادة هي حدوث ما تمنّيته
بعد عناء الانتظار و الصّبر و الكدّ من أجله؟
يا سيّدي القارئ،
لك أن توافقني أو تعارضني الرّأي
فليست السّعادة نفس المفهوم لدى الجميع
فحينما تتمثّل أقصى سعادة أحدهم
في الثّراء الشّديد
في الجمال الحادّ
في المرتبة و الجاه
في العلاقات الحميميّة الّتي ترضيه لبعض الوقت
في الرّاحة "الدّائمة"
في تحقيق ما تمنّاه أبدا
قد تكون سعادتك في حدوث الأمور فوق ما اشتهيت
أو في تحقيقك لأحد الأمور الّتي قيل عنها مستحيلة
أو في حصولك على وظيفة تضمن لك رزقك

أو حتّى اجتماعك مع الشّخص المناسب أبدا و أزلا
و لكن
ليست السّعادة بالضّرورة الحصول و التّحصيل
و ليست قيمتها في عظمة الأشياء
فالعطاء شكل من أشكال السّعادة
تحصد بصدقتك أو إعانتك محتاجا
ابتسامة معدمة، بل ابتسامة حقيقيّة
سعادة لا يمكن للأثرياء شراءها بممتلكاتهم
بل إنّ مشاركة أحبّائك بعضا ممّا اشتريت
و جلوسكم بعضا مع بعض على حافّة الرّصيف
نعم تلك اللّحظات
لحظات لو دفعت فيها مال الدّنيا كلّها لن تستطيع الحصول عليها
و ليست الثّروة أو العظمة موجبا للسّعادة
فأحدهم سيكون سعيدا باهتمامك
فاهتمامك له عنده أعظم شأنا من الهدايا المبالغ فيها
فالسّعادة الحقيقيّة إذا
هي البساطة و الهناء

ما التّعاسة؟

و لكن ما التّعاسة؟
أهي الحزن الدّائم أبدا و أزلا
أم التّيه في غابة من فقدان الأمل؟
هل أنّ التّعاسة انعدام الأحاسيس
أم عملها بتناسق منطقيّ؟
هل أنّ التّعاسة هي الانعزال من الموجودات
أو حالة إدراك تامّ و دقيق لما هو حولك؟
و لما أنت تعيس من الأساس؟
و لما التّعاسة تحديدا؟
و ما ذنبك أن تكون تعيسا؟
كلّ هذه الأسئلة تجوب فراغ نفسك
كالأشباح تطاردك في منزل مهجور
ليلا و نهارا
تحاول إيجاد إجابة ترضي بها نفسك
فتجد نفسك قد صغت ملايين الفرضيّات لتدحض ذلك
و كأنّك تقطع الحبل الّذي أردته للخروج من البئر
تفكّر
تفكّر كما لو أنّك في فراش الموت تراجع شريط حياتك

تعلق الصّور في أكثر لحظات حياتك مهانة و يأسا
و تلوم نفسك
كما لو كنت تضحك عليها
لكن بأسلوب مأساويّ
تؤوّل الأحداث وفقا لفرضيّاتك الحزينة
و ترغمها غصبا عنها لتوافق الصّورة المرجوّة
و هندما تتطابق الصّور
تختلق لنفسك و الآخرين أعذارا شتّى
و ينجون هم
و تكون أنت حين إذ الملَام الوحيد
تلوم نفسك كلّ ثانية من الوجود
على كلّ حركة شهيق و زفير تنفّستها
على كلّ غمضة عين أغمضتها
على كلّ كلمة بحت بها
و كأنّك مجرم في عالمك الخاصّ
...
عالمك
عالمك أصبح وكرا للتّعاسة
غابة من الأفكار السّوداويّة
لا يرضي سكّانه أيّ شيء
و كأنّهم رفضوا الحياة طوعا لك
حتّى نفسك تهجرك

لأنّك التّعيس الوحيد في هذه الغرفة

الحياة بحلوها و مرّها

ما الحياة؟
الحياة حنين النّفس المستمرّ لأمس ماض
و إدراكها ليوم حاضر
و تهيئتها لغد قادم
الحياة هي تلك المرارة الحلوة الّتي تجدها في الحلوى الحامضة
و الحلاوة المرّة الّتي تجدها في ربح لعبة و أنت تعلم علم اليقين أنّك ستربح
الحياة هي مسامحة الظّالم بعدما ظلمك أنت المسامح
و ظلم المسامح بعدا سامحك أنت الظّالم
الحياة هي انكسار و إصلاح دائم
أعمال ترميم دائمة
دون أجل معلوم
مهما طالت المدّة
الحياة هي التّجسّد في عدّة أجساد
في محاولة إيجاد جسدك المناسب
و لا شيء يناسبك
يُؤوّل الجميع الحياة
أنّها الحبّ حسب غاندي
أنّها الجحيم حسب دوستوفسكي

أنها الفكرة حسب كارل ماركس
أنها القوّة حسب نيتشه
أنها الفنّ حسب بيكاسو
أنها الإيمان حسب ستيفن جوبز
أنها المعرفة حسب أينشتاين
أنها المنافسة حسب راسل
أنها الموت حسب فرويد
أنها الابتلاء حسب سقراط
أنها المعاناة حسب شوبنهارو
أنها البدايات حسب كافكا
أنها دروس حسب هيلين
و الحياة هي ما تراه أعين الجميع
إنّها التّناقض بين الأفكار و الكلمات
إنّها الشّرارة الّتي تولد من احتكاك الأحجار
إنّما الحياة كلّ شيء و لا شيء في آن واحد يدوم أبدا
إنّما تحمل الحياة ما لا يمكن للكلمات تحمّله من أوجه
فللأوراق وجهان متناقضان
فلا جدوى من تحديد معنى لها
و في نفس الوقت هناك جدوى
هناك جدوى من تحرير المعاني المخبّأة من العدم
و في نفس الوقت أقول نعم و لا
الحياة هي التّناقض

تحاول التّأييد فتجد نفسك تناقض
و الآخر يناقض ما ناقضه ناقضه
إنّما ذلك من القبح الجميل للحياة
إنّما ذلك من الجمال القبيح للحياة
فالتّناقض لتفهم مواقف لم تكن تفهمها
و لترى أشياء لم تكن تراها

الباب التاسع

الحبّ

المصرع الأول: نصيحة لكلّ محبّ

المصرع الثّاني: أحبّها

نصيحة لكلّ محبّ

تنتزع قلبك من صدرك
و تمسكه بيديك
تتأمّله جيّدا
زاد احمرارا عن قبل
تحسّ بحرارة
لا لا
بل دفئ يسري في عروقك
يقطر الدّم قطرة بقطرة
كأنّما عاد كما لو وُلد من جديد
تذكر بعض الكلمات
بل بالأحرى اسما معيّنا
فيزيد نبض قلبك
و يزداد الدّفء
و تعتريك نشوة
و ابتسامة عريضة على محيّاك
و لا تدر ما سبب ذلك
فدعني أخبرك:
أنت عاشق

استرددتّ حقّ الشّعور مرّة أخرى
نعم لا تنكر
إنّك في حالة عشق
و أظنّ أنّك يجب أن تنظر إلى يدك ثانية
إنّما قلبك ليس عندك
أعلم أين هو ،
و أعلم من سرقته
و أعلم ما يعتريك؛
عشق و حنين إلى معشوقتك
تراودك شتّى مشاعر السّعادة
و الحبّ
و لكن إن كنت عاشقا للمرّة الأولى
دعني أخبرك؛
لا تنصت إلى ما يقوله لك قلبك
رغم أنّه صواب
لا تنصت إليه
أحيانا مشاعرنا تجرّنا إلى الهاوية
و لكن
يجب أن تعرف كيفيّة ترويضها
فأوّلا :
اعلم صدق مشاعرك
فالكذب خطيئة

و لا خاتمة للكاذبين
سوى الفشل
بل ليس فشلا
بل ما تستحقّه
و لا تتذرّع بالخداع
رغم أنّنا نُخدع كلّنا
إلّا أنّ المشاعر الصّادقة هي الوحيدة الّتي لها ذلك
وثانيا :
لا تبرز مشاعرك
و لا تعرّضها للهواء
و لا لعامّة النّاس
و لا سيّما هي
لا تظهر لها أنّك تحبّها
بل أظهر أنّك تهتمّ لها
فالنّساء يحببن من يهتمّ لأمرهنّ
أمّا العاشقون،
فلا يبدين لهم من اهتمامهم المرجوّ أي شيء
و ثالثا :
إن لم تكن المشاعر في مكانها
و إن كنت على علم أنّ معركتك لمعركة خاسرة لا محالة
فانسحب
فما جدوى استنزاف قلبك

و عصارة روحك
في سبيل نهاية مسدودة؟
و ما جدوى النّدم
بعد فوات الأوان
و الخسارة؟
أليست مأساة إذن؟
أليست مأساة أن تحبّ من لا يحبّك؟
أليست مأساة أن تحبّ
و تجاهد من أجل حبّك
لأجل شخص لم يعط اهتماما لحبّك أصلا؟
أليست مأساة
أنّك ستسهر اللّيالي
يطاردك شبح من تحبّ ليل نهار
و هو مرتاح البال لا يخطر اسمك على باله حتّى؟
ألن تكون معاناة
أنّك تحبّ
و تظلّ تحبّ
و تعلم أنّ حبّك لن يعود عليك بشيء
غير الألم و التّناقض الدّاخليّ
و الألم و العبثيّة
و الألم و الهجر النّفسيّ

ألن تكون مأساة إذن؟
تحبّ
و تحبّ بوفاء
و في الأخير لا يعود عليك وفاؤك بخير
و أنت تعلم ذلك مسبقا
و يكون حبيبك مع شخص آخر
فتحزن لعدم وجوده بجانبك
و تسعد رغم ذلك
لأنّه سعيد
و لا تقوى على فعل شيء
فتنتظر
و تكبت ألامك
و تموت يائسا
بعدما عشت يائسا؟

أحبّها

أحبّها
أحبّها امرأة
و ليس مجرّد فتاة
أحبّها روحا و شخصا
و ليس اسما و جسدا
أحبّها
ليس لجماها الأخّاذ و قلبها الرّقيق
و هي كذلك
ليس لصوتها الملائكيّ العذب الأنيق
و هي كذلك
ليس لعقلها الفطن الذّكيّ السّحيق
و هي كذلك
ليس لذوقها ذو العمق الرّفيع
وهي كذلك
فلا أحبّها على أسس ستندثر يوما
فلا أحبّها لما يمكن لأقلّ الأشياء شئنا إفساده
فالذّوق قد يسوء يوما
و العقل قد لا ينفع يوما
و الجمال قد يذهب يوم

و الصّوت قد يخون يوما
فإنّني أحبّك
لأنّك روح بيضاء
أجدها بصيص نور
في درك اللّيل
في درك الظّلام
لأنّك روح تكمّلني
أجد فيك ما يملأ ثقوبي
ثقوب مصدرها الكره و البغض
منها ما كسرني
و حطّمني
و جرحني
و هدمني
لأنّك روح عاكسة
أرى فيك ما لا يرونه فيّ
أجد فيك شبحا من الأنا القديم
ذلك الأنا القديم الجميل
لأنّك روح أريد بشدّة
أن أحبّها
و أرتفع بها بعيدا عن هذا الدّنس
روح أحبّها
أحبّها حقّا

مال إليك قلبي
و مالت إلى روحك روحي
و مالت عيناي لعينيك الجميلتين
آه
آه كم هذا مضحك
خانتني الكلمات و المشاعر
و خانتني الدّنيا كلّها
و في بحر من خيبات الأمل أجد
أجد شبحك جائلا
مثلي مثله
و كلّ ما أريد
في هذا الزّحام أريد
أن أمسك بيد هذا الشّبح
و أعانقه بشدّة
و أن أحبّه... و أن أحبّك

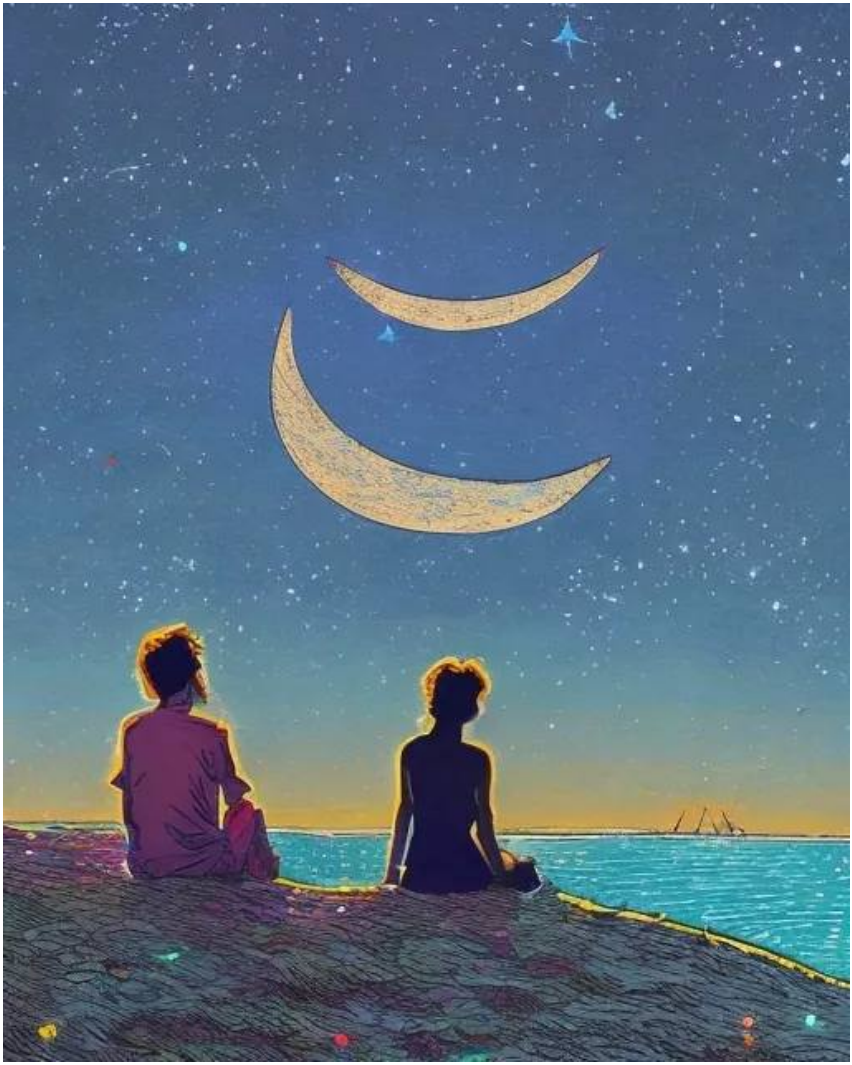

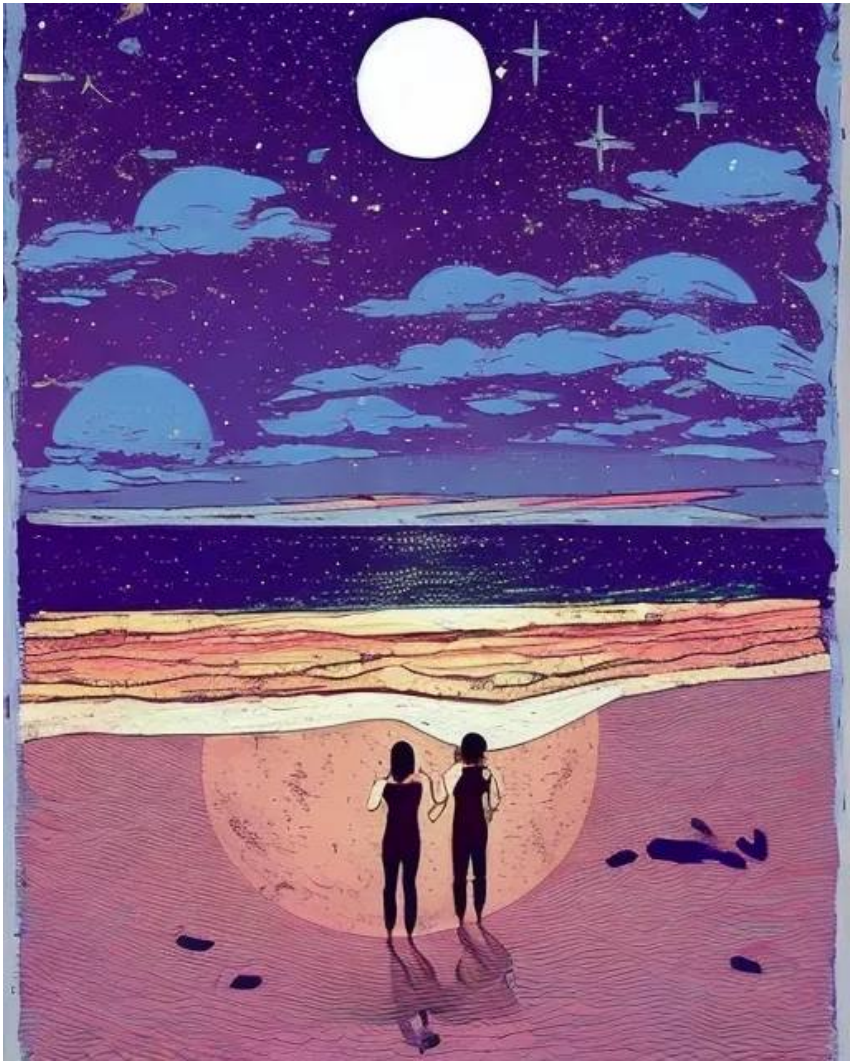

"تحدّثيني عن جمال القمر في السّماء

و لا تعلمين أنّك أجمل من البدر في كلّ الحالات

كاملا أم لا، أجد الجمال في روحك

كلّما أحدّق بعينيك"

الباب العاشر

إلى أبي و الآخرين

الرسالة الأولى: إلى أبي

الرسالة الثّانية: إلى أمّي

الرسالة الثالثة: إلى أخي و خلّى

الرسالة الرابعة: إلى عمّتي في رحاب الجنّة

الرسالة الخامسة: إلى عزيزتي

الرسالة السادسة: إلى أحبائي

إلى أبي

أهلا يا أبي
كيف حالك يا أبي؟
الحمد لله يا أبي
ليطوّل الله في عمرك يا أبي
وصلت الرسالة و قرأت منها
ما هدأ شغفي لها و يشبع
قرأت محتواها
و لأكن صادقا لا منافقا
رغم طيبة قلبك
رغم نبل أخلاقك
لن تستطيع رسالتك و لا محاولاتك
التّغيير منّي شيئا
لا تستغرب يا أبتاه
لا تستغرب
فأنا شخص تآكل مع الزّمن
تآكلت أشلاءه
تآكلت روحه
لم يعد لي متّسع لأكون

فقد نفذ ذلك الوقود منذ انطلاقي
أنا إنسان لا يُفهم
لا يمكن أن يفهمه الدكاترة و الأطبّاء ذو الشّهائد العليا
فكيف عساك أن تفهمني؟
لقد قلت فيّ أنني قطعة منك
لكن ها أنا أصحّح لك
إنّني عضو ميّت
أنا عضو زائد
أنا من الزّوائد الميّتات دون فائدة !
تحدّثت أيضا عن نبل أخلاقي
لكن دعني أصحّح لك
دعني أخبرك
أنّ فارسك النّبيل
قد لا يكون حقّا من النّبلاء !
تآكلت أحشائي
و أصبح قفصي الصّدريّ عرضة للهواء
و البلّور المكسور !
ها أنا أحارب إنسانيّتي
أحاول الحفاظ على الأنا الحاليّ
قبل أن أتعكّر و أصبح من الآخرين
بل أنا من الآخرين
أنا الوحيد الماجن المجنون منهم

فاسمعني يا أبتاه
إحفظ كلامك لابنك الآخر
ابنك الآخر الّذي يعاني أكثر منّي
إنّه الوحيد الّذي تفوّق عليّ
في التّحمّل
فها أنا جثّة كئيبة
و ها هو إنسان متكامل
أشبعه بحنانك و حنانك تجاهي
و غطّيه بلحافه و لحافي
أتركني أنا للذّئاب إن كان في ذلك نجاته و نجاتك
فقد أخذت منّي ما يُؤكَل بلا
وعدتني أنّك لن تخذلني
أنا أعلم أنّك لن تخذلني
أعلم ذلك جيّدا و واثق من ذلك كلّ الثّقة
لكن إحفظ هذا الوعد لابنك الآخر
فأنا أخاف أن أجعل حياتك عدما و تعبا
أتركني ليرتاح بالي و بالك
لا لأنّني لا أريدك معي في فرحتي
لأنّني لا أريدك أن تتعذّب معي !
نعم !
لا أريدك أن تذوق شيئا من الألم
فأنت مطعمي الرّاحة و الهناء

لا أريدك أن تندب أيّامك
فأنت واهبني إيّاها دون حساب
فكيف أدعك تتألّم؟
كيف لي أن أجعلك حزينا لي؟
و السّلام لروحك النّقيّة يا أبي
و في كلّ لحظة مازالت فيها حذوي
و أنت حذوي أزلا و أبدا
أعدك أنني سأكون لك الابن الّذي تستحقّه

إلى أمّي

و كيف أنساك
و أنت الّتي حملتني تسعا في بكنها
و دهرا و دهورا في حضنها
أنت الّتي نسيت اسمها لتحفظ اسمي
و نسيت طعم الرّاحة كي تعلّمني ماهيّته
كيف أنسى الّتي حملتني طفلا
كيف أنسى الّتي أرشدتني غلاما
كيف أنسى الّتي صاحبتني شابّا
كيف أنسى الّتي آزرتني رجلا
كيف يمكنني أن أنساها ؟
كيف يمكنني أن أنسى أمّي الحبيبة
و كلّ الدنيا تذكّرني بها ؟
كيف أنساها ؟
أمّي
المرأة الوحيدة الّتي تستحقّ أن تُحبّ
بكلّ اهتمام
و حبّ
و دفئ
و كلّ شيء

و لو أعطيتها الأبد
لأظلّ طول الزّمان أشكرها لفضلها عليّ
فحتّى مال الدّنيا كلّه لم يستطيع ردّ شيء من ذلك
إنّما حنانها الدّافئ
أمر لا يقايض لا بالمادّيات و لا بالحسّيات
حبّها نعيم
و هجرها جحيم
و إن كانت نساء العالم كواكب
لكنت البدر يا أمّاه
كنت لتتوسّطي السّماء
بدرا كاملا
بل إنّ القمر ليشبّه بك لفرط جمالك
و إنّني حتّى إن بلغت عنان السّماء في وصف أحدهم
لأكسرنّ سقف السّماء و أعلونّ في شكرك مرتبة سماويّة
و لن يكون ذلك بكاف أبدا
و طيبة قلبك
طيبة قلبك يا أمّاه
إنّ جوهرك ماسّة
ناصعة البياض قويّة اللّمعان لشدّة نقاءه
يا أمّاه
حصروا الجمال في أعمال فنّية
أو مناظر طبيعيّة

فكيف عساي أن أقنعهم
أنك أجمل و أرقى من ذلك بكثير؟
بل كيف لهم أن يفهموا ذلك؟
كيف لهم أن يفهموا حبّ الأمّ لوليدها؟
لن يقدروا يوما على ذلك
إنّما حبّ الأمّ لغة فريدة
فقط أنت تستطيعين تكلّمها بطلاقة لسان
أنت فقط
...
كيف لي أن أردّ لك جميلك
و كلّ ما في الدّنيا لا يستطيع أن يحمل مقدارا من امتناني لك
حتّى الكلمات يا أمّاه
حتّى الكلمات... !

إلى أخي و خلّي

أذكر أنّك وُلدت و كنت أنا في الرّابعة من عمري
و أذكر أيضا
أنّ ذلك اليوم كان عرسا
و أيّ عرس أمام عرسك الأوّل،
ولادتك
كانت فرحة لنا جميعا
لا سيّما أنا
أخبرتني أمّي أنّني حملتك
بكلّ دفئ و حنان
نسيت من سمّاك
أظنّه عمّتي
كنت أردّد ذلك الاسم
و أنا ألاعب وجهك
و أنظر في عينيك
فأجد ملاك الفرحة قد تجسّد فيك
...
و ها أنت الآن قد بلغت من العمر عقدك الأوّل
أنظر إليك بعينيّ الدّابلتين
فأجد فيك فتى يانعا

أبتسم لرؤيته
إنّما أنا أرى فيك
ما لم أقدر عليه و لا حتّى على رؤيته حتّى
ها أنت
سيمفونيّة أحسنت الطّبيعة عزفها
لوحة أجاد الفنّان رسمها
أرى في عينيك وهجا
وهج مستقبل ساطع بالآمال
وهجا
أعلم علم اليقين إثره أنّك ستكون من النّاجحين
لا من الكئيبين مثلي
و لا تهتمّ للّائمين عليك فخرك
و عائلتك
و نفسك حتّى
لا تعطهم من بالك شيئا
فهم إذا حصّلوا مبتغاهم من الفتات
سعوا إلى بقيّة الغنيمة
و اعلم يا أخي
اعلم أنّه لو كان العالم ضدّك
فأنا ضدّ العالم معك
و لو كان الوجود كلّه ضدّك
لأكون لك العدم مساندا لك في كلّ لحظة

...

و اعلم يا أخي

أنك إنسان

بشريّ ارتقى إلى مرتبة إنسان

لم تعد من البشر

لم تعد كمثلك من الآخرين

لم يدركوا هم ذلك بعد

أعقد عليك آمالا كثيرة7

أعقدها واحدة واحدة

و أعلم أنّ أملي فيك سيصبح واقعا

و اعلم يا خلّ العمر

أنّ صديقك ليدفعنّ بيدك إلى الصّواب

مبعدا إيّاها عن الخطأ و الإثم و الخطيئة

و أعدك

ما دمنا نتنفّس

أنني سأكون أخاك

بل خلّك الوفيّ

إلى عمّتي في رحاب الجنّة

وددت يا عمّتي
وددت أن تبقي قليلا إلى جانبي
وددت أن لا ينفذ الرّمل من ساعتك
وددت أن لا يأتي ملك الموت في تلك اللّحظة
وددت
لكن ما ودّي أمام مشيئة الخالق؟
و ما ودّي أمام ما قُدّر لك؟
...
و لكنّني دائما ما أعتقد أنّ الموت رحمة للمؤمنين
و كنت مؤمنة بحقّ
كنت عمّة بحقّ
كنت امرأة بحقّ و ألف حقّ
أنثى تستحقّ أن تكون امرأة
صحيح أنّني لم أعش حذوك بما فيه الكفاية كي أفهمك
و لكن
هناك من عاش كفاية كي يخبرني عنك
أبي
كان خلّك و كنت خلّته
كنتما أخا و أختا بحقّ

...

و في يوم دفنك

-رحمك اللّه-

أتى أبي

و قد أغرقته الدّموع في بئر أبديّ من الأحزان

يبكي ألاما

و يصيح أهات

يظلّ يردّد اسمك

مرّات عديدة

و يبكي فراقك

و يبكي كلّ تلك الأيّام الحلوة

الّتي أمست ذكرى جميلة

كانت تلك الدّموع دليلا

على أنّك كنت نعم الصّديق الّذي تمنّاه

كنت ملاكا حيّا

يتنفّس

سقط من السّماء و عاش حياته كلّها

في العطاء

و الخير

و المحبّة

لم تكن الكراهيّة أو البغض شيئا من معجمك

و آن الأوان

أوان عودتك إلى الجنّة

...

أذكر ذلك اليوم بكلّ تعاسة أوتيت

يوم متّ

أتانا اتّصال من والدي

و أجابته أمّي

...

و كانت كلماته المعدودة كالخنجر يُغرز في قلوبنا

"بشرة عند رحمة اللّه"

و عندما سمعت تلك الكلمات

...

لم أدر ما بيّ

بكيت سيلا

و لم أبك دمعا

لم أستطع تصديق ذلك

أخذت صورتك

قلّبتها من كلّ الجهات

"أصحيح أنّك متّ يا عمّتي؟"

لا، لم تموتي

مات جسدك

و لم تمت روحك

إنّما روحك النّقيّة

رُفعت إلى السّماء
لتعيش في الجنّة بهناء
و مازلت تعيشين
في قلبي يا عمّتي مازلت تعيشين
في قلوب كلّ من أحبّك

إلى عزيزتي

يا من جابهت الشّمس في إشراقها
يا من جابهت البدر في جمالها
كم أحبّك
كم أحبّك حقّا يا زهرة الأقحوان
كم أحبّك حقّا يا زهرة الماجوليكا البيضاء
كم أحبّك حقّا
...
و في كلّ مرّة أردّد بها كلمة "أحبّك"
أنفي بها كلّ تفاهة
و كلّ مصطلح بال للحبّ
و كلّ الأشياء الفارغة المجوّفة من داخلها
فلا أعني بالحبّ ما تصطنعون فهمه
إنّما أنا أحبّك يا عزيزتي
أشعر تجاهك بشعور لا أعرف ماهيّته
لا أعرف
فأسميته الحبّ
فساعديني يا عزيزتي على إيجاد المصطلح المناسب؛
إنّما أحبّك
فأريدك إلى جانبي

و إن لم تكوني كذلك فأسعى إلى ذلك
و إن استعصى ذلك فأقول لا بأس
إنّما أحبّك
و أريدك أن تحبّيني
و أسعد إن فعلت
و قد فعلت
بطريقتك الخاصّة فعلت
ربّما ليس حبّا
بل اهتماما
و لكنّك اهتممت لي
إنّما أحبّك
و أريدك سعيدة
و إن كنت أنا التّعيس
أمنحك سعادتي
و امنحيني ابتسامة بيضاء
إنّما أحبّك
ليس لأنّك شخص يستطيع إسعادي فقط
و أنت كذلك
ليس لأنّني أريد علاقة معك
فليس لي و لك أيّة رغبة في ذلك
أنا لا أعلم
أنا أحبّك فقط

لا أسباب و لا دوافع خفيّة
حبّ فقط
و اهتمام محبّ
و بعض من البراءة
و بعض من العشق
ذلك منّي لك
و ما أريده حقّا
بشدّة
أن تكوني سعيدة
كوني سعيدة يا جميلة العينين
كوني سعيدة يا نقيّة الرّوح
لا تأبهي لأحد إن أزعجك
حتّى أنا
و كوني سعيدة
إنّما أنا أحبّك
بي أو بدوني
...
تظنّون أنّني ضعيف، أليس كذلك؟
أنني هشّ العظم، أليس كذلك؟
تظنّينني كالآخرين
أعدك بكلمات معسولة
و لا أفي بها

لك الحقّ في اعتقادك
مرّ الكثير مما تخافينه
و لك حذرك
و لك كلّ ما قلته
لكن اعلمي
أنني أحبّك
لم أجد المصطلح المناسب
لم أجد الطّريقة المناسبة كي أعبّر من حبّي
لا أدر كيف
لكنّني أحاول بجدّ
و أظنّ أنّني في الطّريق الصّائب

إلى أحبّائي

أحبّائي
تستتر أسمائهم في صفحات الذكريات عند الكبر
و لكن حتّى إن اختبأت في الظّلام
ستلمع ضوءا لا يمكن لعين أن تنكره
لا يمكن لعين أن تنكر ذلك الضّوء
لا يمكن أن تنكر ذلك الخير
كلّ الخير الّذي لاقيته منهم
نعم، أنا مدرك تمام الإدراك أنهم
أنّ هؤلاء الأشخاص هم الّذين قد آذوا بعضا منّي
لكن أأنكر فضلهم عليّ طوال دهر
من أجل ضرّهم لي طوال لحظة؟
طبعا لا
و إنّ ما فعلتموه من أجلي
لكان لي بشيء لن أستطيع ردّه
و إن كان لي كلّ جاه الدنيا
و كلّ القوّة فيها
و كلّ السلطان فيها
و كلّ شيء
لن أستطيع أن أردّ لكم شيئا يوازي حتّى ما أعطيتموني إيّاه؛

أعطيتموني إخوة
أعطيتموني عائلة
أعطيتموني أصدقاء
أعطيتموني ما أستطيع أن أحزن لفراقه و أفرح لمعايشته
قد لا أكون ممتنّا غالب الأحيان لذلك أمامكم
و قد انقلبت ضدّكم قيلا في البعض الآخر من الأحيان
لكن اعلموا أنّ من أحسنتم له
سيعترف أبد الدّهر بذلك
اعلموا ذلك جيّدا
فالصّديق هو من صادقته لصدقه
و صدق صداقته
و صدق صدقه في صداقته لي
و أشرّفكم يا أحبّائي بمرتبة الصّديق
و إن أخطئت الوصف
و ظلمتكم أو عظّمتكم زيادة عن اللّزوم
فلا أندم
إذ أنّ بخيركم و شرّكم
قد أعطيتموني شيءا
أبد الدّهر أكون ممتنّا له
و طبعا
من بينكم من لا أنسى فضله
و أعلم أنّه يقرأ هذه الأسطر بتمعّن

و آمل أنّ الفرحة و الفخر تعتريه
فاعلم يا عزيزي
أنّك أصبحت مواطنا من الطّبقة العليا في مدينة ذكرياتي
و إحسانك إليّ...
يعرض حاليّا في متاحف المدينة
فها أنا أشكرك
فشكرا لأنّك صادقتني
و أعدك أيّها الصّديق
كلماتك لن تبقى كلمات في الذّاكرة
بل ستكون مرشدتي
في طريق الظّلمة
و ستشرق شمسنا من جديد
بعدما غابت لقرون
و سنكون هناك كلّنا
مهما كانت الظّروف
تعاهدنا على الوصول
و ليس للإخلاف أعذار
سنجتمع ثانية
و إن صارعنا الأقدار

الباب الحادي عشر

أفديك بروحي

المصرع الأول: النّوايا

المصرع الثّاني: أفديك... بكلّ شيء

النّوايا

مرحبا يا قارئ كتاباتي
أهلا و سهلا يا عزيزتي
كيف أحوالك و أحوال ما حولك
من أحداث و شخصيّات و قصص؟
آمل بخير
أتسألينني عن حالي؟
تعرفين إجابتي مسبقا
أزرق
و الحمد لله بخير
آه تذكّرت
كنت سأخبرك
أنني أعدت إمساك القلم و أخيرا
فأنت تعلمين أنني في الآونة الأخيرة
تركت القلم و كلّ شيء
لأفرغ ما في جوفي من كدمات و مشاعر
و أتعامل مع شياطيني و ملائكتي
فوجدت نفسي ممزّقا أشلائي متناثرة مبعثرة
بين النّوايا و الأفعال و المشاعر

وجدتها مبعثرة
لم أدر ما أصبته و مل لم أصبه
و لم أدر ما كان صائبا و ما كان خاطئا
و لم أدر ما كان صالحا و ما كان ضارّا
و لم أدر أيّ شيء
كأنّما كنت أنظر إلى جبل نسجته أفكاري
فتراكمت عليّ أحجار و تكتّلات هذا الجبل
فانفصلت عن العالم قليلا
و تركت نفسي مع ظلماتها
لن أهرب من نفسي
سأواجهها
مهما تكلّف الأمر
و بالفعل استطعت فعل ذلك
تمكّنت من التفاهم مع خواطري
و صفّيت أفكاري
و وجدت أمامي أشياء لم أستطع رؤيتها من قبل أو إدراكها
و لكنّني ها أنا أراها
و أخيرا
أرى ما أستحقّه من خير
أرى ما يستحقّه غيري
أرى ما تستحقّينه أنت
سأجيبك عن قريب من تساؤلاتك

سأجيبك
لكن اعلمي
أنّ نيّتي ليست علاقة و لا صداقة عابرة
و لا استفادة وقتيّة و لا شيء من هذا المعجم
أريد أن أحبّ شخصا
حبّا لا يتقيّد بالآنيّة و اللّاحقيّة
بل حبّا بعد الموت
و بعد الحياة بعد الموت
و إنّني أعلم
أعلم أنّ مطلبي هذا طفوليّ
و أنّ حبّي هذا لن يجدي
إنّما أريد أن أحيا
و الحبّ هو ما يجعلني أحيا
فيا أيّها الملكان
أعلم أنّكما تسجّلان حركاتي و سكناتي على الدّوام
أجيبا هذا السيّد المتسائل عن تساؤلاته
تساؤلاته في شأن نواياي
فلتعلم يا سيّدي القارئ
أنّك لو فتّشت كتب الملائكة جميعها
لن تجد حرفا مغايرا لما قلته سابقا
و ما أقوله حاليّا
و ما سأقوله لاحقا

و طبعا

الله وحده أعلم بالإجابة

أفديك... بكلّ شيء

و في كلّ مرّة يبلغ منّي الحزن أعلاه
تأتي يا عزيزي
و لا اعلم كيف
و لكنّ حديثي معك
و إن كان لثانية
يخرجني من كآبتي
و تحدّثني عن الأشياء الّتي تعلم أنّها تسعدني
و ما يسعدني حقّا أنّك ما زلت تذكها منذ أوّل مرّة بحت بها لك
فيا خلّي
فيا عزيزتي
أشكرك لمواساتك لي
و لنصحك لي
و لذلك، أفديك بكلّ شيء
نعم،
كلّ شيء
و إن كان مستحيلا عليّ لأفعلنّ المستحيل حين إذ
و قد تقول لي
"لا يستحقّ الأمر العناء"

فأقول لك إذا
"بل يستحقّ كلّ شيء"
فسحب رجل حزين من مأساته
و منحه صديقا "حقيقيّا"
بأمّ معنى الكلمة
يمثّل له كلّ شيء
و ليس من شيمي أن أتركنّك أيّها الخلّ وحدك
تواجه الأعاصير وحدك فاعلم
أنّك إن كنت للحظة أسير الظّلمات
فأكون أنا من ينشلك من هذه الظّلمات
مثلما انتشلتني
فها أنا، شاكر لك ذلك

الباب الثّاني عشر

غربة في وطني !

المصرع الأول: الوطن...؟

المصرع الثّاني: غربة

الوطن...؟

أفاق الصّبح
و قد جرّوه إلى عمله بالسّلاسل
تنطفئ أضواء الشّوارع في سبات المناكب
هناك من يجري في سباق مع الزّمن كالبائس
و آخر بنظر ينظر إلى القطار القادم كالتّائه
...
أهلا بك على هذه الأرض التّعيسة
تسكنها الجثث و الأرواح البئيسة
شربت أرضها دماءا أسالتها الأسلحة اللّعينة
و مازالت تنمو على دماء أبناءها البريئة
و لطّخت الأيدي القاتلة الظّالمة
بالدّماء الطّاهرة
من أجل حرّية ظاهرة
استعباديّة باطنة
و من أجل ما تعيشونه من الرّاحة و الهناء
جاهد أجدادنا بالسّلاح و الدّماء
من أجل أن يقتلوا البلاء
و كلّ من احتلّ بلادنا من المزعومين "النّبلاء"

ذلك الوطن
وطن قام على تاريخ من الجثث
تاريخ ثريّ بالتّضحيات
في سبيل الأبرياء
...
ألق نظرة على البلاد
آه
و هل هناك أكثر بؤسا من هذه الحال؟
إنّ ما اتّخذناه وطنا
أصبح أرضا للخيانة و وكرا
الخوّان يجلس على كرسيّ الحكّام
يستنزف دماء الشعب و الدّواب
يسترق المال و يعدم الأنفس و الأنفاس
يرشو و يرتشي و يسيء العدل بين النّاس
و هاهو الشّعب الكريم يتأرجح
بين هوّة و أخرى بأمر منه
و هاهو الكاذب اللّعين
يوجد من العدم الأسود وعودا كاذبة يطعم بها الشّعب المسكين
يعطيهم حلما
و يسلبه منهم
...
و انظر إلى تمثال فرحات حشّاد

شامخا في ساحته
أتنهّد و أنا أمتعّن فيه
و أمتعّن فيه و أتنهّد
أقول مناجيا فرحات
و قد سرق أنفاسي المستعمر
"آه
آه يا فرحات
أهذا ما ناضلت له و ضحّيت؟
أهذا ما سالت له دماءك و فُرّط فيها؟
أهذه التّعاسة و البؤس
ما ارتأيته من حرّيّة و سعادة
عندما حملت القلم و السّلاح
و ذهبت لتقاتل؟
إنّ هذا لا يستحقّ تضحياتك
إنّ هذا لا يستحقّ شرف اسمك
ليس من حقّ أهل هذه الرّقعة أن يتفاخروا باسمك
و لم تكن هذه المدن وطنا لتونس
لن تكون كذلك
لم تكن كذلك
قطّ
و اعلم يا فرحات
أنّ ذلك المستقبل المشرق

و أنّ تونس
دُفنتا مع أنقاض الحرب
و تسألني ما الحرب؟
حرب للشّرف
حرب للحرّية
حرب لاستعادة الوطن
حرب... منذ متّم و أمثالكم و نحن خاسرون
خاسرون لا محالة
خاسرون للحرب أيّما خسارة
و نبقى أبد الدّهر كذلك
نبكي الشّهداء أمثالكم
و نبكي ثانية على ما تركتموه وطنا
و نبكي ثالثة على ما أصبح مستوطنة
مستوطنة للّذين تخلوا أنفسهم من الوطنيّة
فاعلموا يا عديمي الوطنيّة
رغم انهزامنا الدّائم
سيجيء يوم و نستعيد ما لنا
اعلموا و إحفظوا كلماتي جيّدا"

غربة

استيقظت
لا على صوت صياح الدّيك
كما اعتدت عليه
بل على صوت المنبّه الكئيب
فتحت الثلّاجة
لأجدها ممتلئة بالمعلّبات
معلّبات كلّها تتشابه في نكهة الرّتابة
أكلت ما يبقيني حيّا منها
و خرجت من عمارتي متّجها نحو المحطّة
فأجد هذه الأخيرة ممتلئة بآلاف الجثث السّائرة
كلّهم يغمغمون بكلمات غير مفهومة
أحدهم يشكو اضطراره لمفارقة سريره
و الآخر مرارة قهوته
كلّهم تعتريهم نفس النّظرات؛
أعينهم تعيسة و كأنّهم لم يروا نور الشّمس منذ قرن
أجفنهم شبه مغلقة،
و كأنّهم حفظوا حركاتهم الاعتياديّة عميا
و اعتادوا عليها

يتوقّف القطار
و ينتشر السّرب
كلّ إلى مكان عمله
...
كنت انظر إلى كلّ هذا
و قد مللت من النّظر كلّ يوم
فقلت في نفسي
"آه
أهذا ما هجرت له وطني؟
أهذا ما ودّعت له دفء موطني
كي أنام في برد الغربة القارص؟
ما زلت أتذكّر...
ما زلت أتذكّر أيّامي في مسقط رأسي
حين كنت طفلا
كنّا أطفالا بريئين
نلعب بهناء في أرجاء حيّنا العتيق
في حضن عائلتنا
فكيف خذلنا الزّمن
و أصبحنا غرباء عن موطننا؟"

الباب الثالث عشر

الضّمائر

المصرع الأول: أنا

المصرع الثّاني: هو

المصرع الثالث: هي

أنا

أنا الشّاعر إذا أعطيته كلمة طيّبة
أعطاك قصيدة
أنا الكاتب إذا أعطيته نصّا
أعطاك كتابا
أنا الأديب إذا أعطيته رواية
أعطاك مجلّدات
أنا الغريب إذا أعطيته ابتسامة
أعطاك وردة
أنا الصّديق إذا أعطيته يدك
أعطاك يديه
أنا الخّلّ إذا أعطيته وعدا
أعطاك أبد العمر عهدا
أنا المحبّ إذا أعطيته حبّك
أعطاك اهتمام الدّنيا كاملة
أنا العاشق إذا أعطيته قلبك
أعطاك الدّنيا كاملة
أنا القريب إذا أعطيته أخا
أعطاك عائلة

سأكون كلّ شيء لك يا عزيزتي
أعطني شيئا من اهتمامك فقط
و سأكون كلّ شيء
أعدك

هو

الهو
الهو
ما ماهيّة الهو ؟
الهو هو خلّي الزّائف
الخلّ الّذي لم استطع الحصول عليه
في حياتي الدّنيا !
يا أحبّتي لا تغضبوا
فأنا سعيد بكم يا أخلّتي
أنتم الوحيدون الذين وجدتهم
صالحين للصّداقة و العشرة في أرض الله !
لكنّه
الهو
إنّه خلّي الدائم
يصاحبني في طريق الحياة ليل نهار
سألني عديد من النّاس
لماذا أجلس لطاولة ذات مقعدين
لما أطلب كأسي قهوة أو شاي
و أنا وحيد كئيب؟

فأجيبهم
ليس هذا المقعد بفارغ
إنّما هذا خلّي جالس
و أكثر ما أحبّه فيه
أنّه يحفظ السّرّ
و ينصحني و يساعدني
رغم عنادي الدائم له و لأفكاره
و لكن
و لكنّه في النّهاية
ليس سوى "أنا"
ليس سوى انعكاس لـ"أنا"
الأنا !

هي

أهلا يا أنا
كيف حالك اليوم؟
الحمد للّه
أذكر أنّك يوم أمس سألتني عن عزيزتي
و أذكر أنّني رفضت الإجابة
أعتذر لذلك
فأنت الوحيد الّذي يعرف مأساتي الّتي ليست بمأساة
فها أنا أكتب لك
عن فتاة غنيّة عن التّسمية
أحببتها حبّا حبّا حبّا جمّا
لم أحبّها لملبسها الرفيع
و لا لجمالها الأخّاذ و قلبها الرّقيق
و لا لصوتها العذب الأنيق
و لا لعقلها الفطن الذّكيّ السحيق
صحيح أنّني وصفتها و أصفها و سأصفها
لكلّ جمال تميّزت به
لكلّ جمال أحببته فيها
لكنّ الجمال الحقيقيّ فيها

هو جمال روحها البيضاء
جمال لن تجد حتّى انعكاسه في روح أخرى
هي الّتي فهمتني
و سامحتني
و تعاملت معي
كأنّني إنسان لا سلّة مهملات !
إنّي أحبّها حبّا جمّا
حبّا لا تستطيع الكلمات أو المشاعر وصفه !
فاللّهمّ أنت الوحيد الّذي يدري ما بجوفي
فاجمعني بها دنيا و آخرة و آخرة !

الباب الرّابع عشر

الأمل في طريق الحياة

المصرع الأوّل: الابتعاد

المصرع الثّاني: الانفراج

المصرع الثّالث: إلى متى ستطول الرّحلة؟

الابتعاد

أهلا عزيزتي
كيف حالك؟
آمل بخير
آسف على تأخّري
أنا عالق
في زحمة من الظّلام
لا أقوى على فعل شيء
لا أعلم إن كنت حقّا ستغيّرين منزلك
و تنتقلين
لم استطع التفرقة بين
بين الكذب و الصدق
لكنّني آت
آت على أيّة حال
ها أنا آت إليك
لكنّني الآن في وسط زحام
من الظلمات
من الكذبات
من الأفكار السلبيّات

أحاول بجدّ
كلّ آونة
أن أعبر هذا الزّحام
لكنّني أظنّ أنّ وقود سيّرتي
سينفذ قريبا
لم أعد أستطع
ملء فؤادي بوقود الحياة
لقد صنعت حدّة الكذبات أو الصّدقات
فجوة في الخزّان
فانساب البنزين
إنّ أفكاري تحاصرني
و لا أدري ما أفعل
و لا أدري ما أريد
أريدك أن تكوني سعيدة
في منزل تختارينه أنت
مهما كان موقعه
و حتّى إن لم يكن في قلبي
و أريدك أن تكوني بجانبي
و أن تبني منزلك
في قلبي
إنّني غير قادر على الاختيار
لكن بيديّ المقيّدتين

أختار سعادتك

فها أنا أسائلك

أين ستبنين منزلك؟

سينفذ الوقود قريبا

و سأنطفئ قريبا جدّا

فقلي لي جوابك و لو كان حرفا

لأعرف أين أركن سيّارتي

و أسكت بسلام

الانفراج

أهلا عزيزتي
كيف حالك؟
آمل بخير
أتذكرين ليلة أمس؟
طبعا فقد حدثت أمسا
قد تظنّين أنّها ليلة عاديّة
مثلها مثل اللّيالي الأخريات
قد تكونين على حقّ
لكنّها كانت محطّة انفراج
أخرجت فيها ما في داخلي من مشاعر
و أفكار و مقاصد
و جعلت من كلّ منها
سيفا أقطع به الظّلمات الّتي أحاطتني
و درعا أحتمي به من سهام الواشي
و ما جعل أسارير وجهي تنفرج
كلامك بل خطابك المشجّع
فحتّى و إن كان بضع كلمات
إلّا أنّها تزن أضعاف و أضعاف

و كان الوعد الّذي قطعته لك
بأن لا أضعف
بأن لا أسمح لغيري بمعاملتي كالقذارة
كان ذلك إكسيرا لأستعيد صحّتي
إكسيرا لم أتخيّل أنّني سأجده
حتّى الآن
فها أنا أكتب
و أريد أن أقول لك
شكرا
شكرا على مساندتك لي
شكرا لعدم هجرك لي
شكرا جزيلا
قد لا تعتبرين أمثال هذه الكلمات ذوات معنى
إلّا أنّها حقّا
بالسند الّذي احتجت إليه
في هذه الظلمات
آمل أن نبقى كما حالنا الآن
أصدقاء هذا يكفيني
آمل أن أظلّ أكتب لك
فهذا ما يبقيني حيّا

الابتعاد و الانفراج مجدّدا

تعبت

تعبت يا عزيزتي

أثقل التّعب كاهني يا عزيزتي

لا أستطيع التّحمّل

يسمع أحدنا أمرا مشينا عن الآخر

فيغرزه في قلبه

و يوبّخه

فنبتعد عن بعض

و نحسّ بغيبة شخص آنذاك

غيبة شخص عزيز

فأمدّ يدي من جديد

و تقبلينها من جديد

و نتقبّل الأمور

و نرى الحقيقة أخيرا

فنجد أنّ ابتعادنا كان مكيدة

مكيدة شخص و أشخاص

أرادوا أن يفرّقونا

فنصبوا لنا كمينا

و أصبحنا للكمين ضحايا

بل علاقتنا الضّحيّة
يوسوسون لي أفكارا غريبة عنك
يوسوسون لك أفكارا غريبة عنّي
ننكر ذلك
لكنّهم يظهروننا بأبشع صورة لبعضنا
فما لنا إلّا التّصديق
و كان التّصديق خطئا
و ها نحن أغبياء
وقعنا في الشّرك
مثل الفئران
و لكن
ها نحن نقوم من الفخّ
و ذلك لإدراكنا الصّدق
لا التّصديق
كنت امرأة بحقّ، و كنت فتى بحقّ
و لكن
لم يكن الواقع
لنا بواقع
فابتعدنا و زارنا الهمّ من جديد
و انفرج ذلك الهمّ من جديد
فتنفرج أسارير وجوهنا
و يتسنّى لي أن أرى ضحكتك من جديد

و ابتسامتك كالشّمس
إذا اختفيت يوما أحزن
و لكنّك تشرقين من جديد
و أكثر جمالا من ذي قبل

الباب الخامس عشر

آه يا سيّدي العدم !

المصرع الأول: الثّائر التّعيس

المصرع الثاني: كأس شاي آخر

المصرع الثّالث: إغلاق المحلّ

الثّائر التّعيس

أهلا بك
لقد شرّفتنا
كيف حالك يا سيّدي العدم؟
الحمد لله بخير
دائما ما نحمد ربّنا
دائما الحمد و الشّكر لله تعالى
اسمع يا سيّدي
لي لك موضوع مشوّق هذه المرّة
و أظنّ أنّك ستحبّه
قي قصّة ثائر
إنسان ثائر
ثائر على قواعد الطّبيعة
لا، ليست الطّبيعة الّتي خلقها الله
بل تلك الطّبيعة الّتي ظننّا أنّها ملكنا و لنا فأفسدنا فيها
ظلّ يفكّر و يكثر من التّفكير
و أوحى له عقله
بسؤال غريب
ليس بغريب للعقل يا باشا

إنّما غريب لنا نحن الإنس
قال له عقله
"لما الرّجولة عندهم هكذا
و ليست هكذا كما يقول المنطق؟
لما الحبّ عندهم هكذا
و ليس هكذا كما يقول القلب؟"
و غير ذلك من التّساؤلات
أتعرف ما قاله الشّاب؟
قال لعقله
"يا عقل لك حقّ و ألف حقّ
لكن هناك مشكل واحد
نحن نعيش في دنيا
عمّتها الفوضى
عمّها الجّوع
عمّتها الأنانيّة
عمّها الظّلم
فكيف تريد أن يكون لصوتك وقع
في ساحة حرب؟
إنّنا كغيرنا من الشّاة
كلّنا في قطيع
وجب علينا الإتّباع
حتّى و لو كان القائد على خطأ

حتّى و لو كنّا في الطّريق إلى هاوية سحيقة
فإن ذهبت مِنة أو يسرة
سيرجمك الأطفال بالحجارة
أو يسرقك أحد القرويّين الجائعين
أو يأكلك ذئب جائع من ذئاب الغابة
هذا إن لم يضربك الرّاعي المزعوم بعصاه
و أرجعك إلى قطيعك
مكسورا مهموما"
فقال العقل
"و إن يكن
ألم يقل الله
إنّ في العسر يسرا؟
ألم يقل أنّنا يجب أن نسلك الطّريق الصحيح
مهما كانت المصاعب
فإنّ في ذلك صلاحنا
و أيضا
إنّك إنسان لا شاة
أعطاك ربّنا تعالى
نعمة الاختيار و الاستقلاليّة
فامش في طريق الحقّ
و بئسا للأطفال
و بئسا للحجارة

و بئسا للذّئاب
و بئسا للقرويّين
و بئسا و ألف بأس للرّعاة
و بئسا و ألف بأس للرّعاة
كن ثائرا
و سوف يبارك الله طريقك
و سوف تجد الجنّة الموعودة"
و إثر كلام العقل
اشتعلت في قلب ذلك الشّاب
شعلة شديدة
كأنّما كان قلبه هذا قد امتلئ أخيرا
ببصيص أمل
بوقود الحياة و عصارتها
ذلك الشّاب
لمعت عيناه بالحماسة
و الشّجاعة
و العزم
و ضرب كأس القهوة الزّجاجيّ على طاولته
و التفت الحشد أجمعهم مستغربين
و صاح الشّاب بأقوى صوته
"لن أصبح عبدا و لا شاة في القطيع
سأتّبع المنطق

و تبّا لكم أجمعين"
أنظر يا سيّدي العدم أنظر
أنظر كيف تولد بين ظلال العدم
تولد النّار
نار تول في قلب وطنيّ مجاهد
لكن
ما أسائلك فيه الآن
ماذا ترى؟
هل ترى في هذه النّار اشتعالا دائما
أم ستُطفئ هذه النّار
مياه التيّار؟

كأس شاي آخر

لا أدري أأموت أبكي
لكفري أو لحبّي؟
ففي كلتا الحالتين فأنا ماجن آثم
أفلا أجد من يصلحني؟
أم إنّ الانتظار القلب لا يجدي؟
أيجب أن أتقدّم وحدي؟
نعم، ذلك من الأساس و صحّته
استطعت فعل ذلك قبلا
لكنّني أحزن
أحزن و أبكي لوحدتي
فحتّى زرقتي لن تكون بجانبي دائما
و حتّى الوحدة ستهجرني
و سأبقى وحيدا
غارقا في خطيئتي
ألا و هي إنسانيّتي
إنسانيّتي الضّائعة المزعومة المتناقضة الكاذبة
...
"يا خويا

كاس تاي آخر الله يرحم والديك"

...

آه

آه يا سيّدي العدم

لقد تهت

تهت في حياتي

تهت و من تيهي وجدت هذا المقهى المنسيّ

و أصبح هذا المقهى مأنسي

و أصبحت أنت أنيسي

آتي إلى هنا و إليك كلّما شعرت بالعتمة

و أروي لك كلّ شيء

من أوّله إلى آخره

و أحسّ بعتمتي

تزول و تزول

يا سيّدي العدم

إنّني تائه

تائه في عتمتي

لا أدري ماذا أفعل

لا أدري ماذا أشكو

لا أدري ماذا أبكي

لا أدري شيئا

إنّني أشكو أفكارا معقّدة

فتفكّ أنت عقدي
و تنسجها
و تعطيني ملاءة أقي بها برد الشّتاء
يا سيّدي العدم
يا خلّي
إلى متى سيطول مكوثي في هذا المقهى
أنتظر الشّاي
إنّني لحقّا تعيس
مثلك و مثل روّاد المقهى
هذا ما يجمعنا
مقهى التّعاسة

إغلاق المحلّ

-رسالة إلى العدم-
مرحبا يا سيّدي العدم
كيف حالك؟ آمل بخير
أظنّ أنّك ستبادلني السّؤال
حسنا، كالعادة تعرفني
لكن هناك ما يحزنني
و أظنّ أنّك تعرف السّبب
أتيت اليوم
وجهتي المقهى التّعيس
و حالّتي أتعس بكثير
وجدته مغلقا
تقول اللّافتة
"مغلق"
بخطّ أحمر عريض
و نبرة حزينة و صوت رخيم
كأنّما صاحب المقهى نفسه لم يرد ذلك
ذهبت إلى الإدارة
إلى شخص قديم أزوره

و للأسف
لم أجد منه شيئا سوى غبوره
...
جلست على حافّة الرّصيف
أجرّ أذيال الخيبة، و مذلّة الرّغيف
بكيت
لم أذرف دمعا
لكنّني بكيت
أحسست بحرقة في داخلي
أصبح ذلك الفحم الصّامت جمرا
أمسكته بيديّ
و رفعته للسّماء طلبا
للمغفرة
كيف لما لم تدفنه الجبال
و ما لم تذهبه الأمواج و لا حتّى النّيران
أن تبكيه قطرة ماء من الأمطار ؟
إنّ ما يبكي القلب و يدميه
غياب غرفة من مبانيه
بل غياب ساكنها
و انطفاء مصباحها
يصاب باقي أعضاء الجسم بالاكتئاب
و الأمراض و الأحزان

إنّ ذلك السّاكن
كان نزيل المقهى الكائن
و كيف لشخص وُلدت ذكرياته كلّها في مكان
أن يحاول نسيانها طول الزّمان
يعلم أنّه سيفشل في ذلك فشلا
و سيبقى طول الدّهر مهموما أبدا
...
المهمّ
تركت هذه الرّسالة لك يا سيّدي العدم
لعلّك تجيء
على هذا المكان المهجور يوما
و تجد الرّسالة مدفونة مع القلم
لعلّك تتذكّرني
تتذكّرني أنا و أمثالي
و تتذكّر ما جمعنا، التّعاسة
لعلّك تتذكّر شيئا من السّعادة
سعادة تشبه سعادة الفقراء
فقرا ينسينا الإحباط
أجل
تلك الذّكريات
على مرارتها نمضغها كالحلويّات
...

أطلت في الكتابة كثيرا
و أطنبت في التّذكّر سكيرا
حسنا
ها أنا أترك هذه الرّسالة
أتركها و مع التّعاسة
إلى يوم تُستردّ الأمانة
إذا أردتني ها أنا أغرق في البآسة
باي باي مع السّلامة
يا نزيل الكآبة
باي باي
مع السّلامة

الباب السّادس عشر

الأحلام

الأوهام

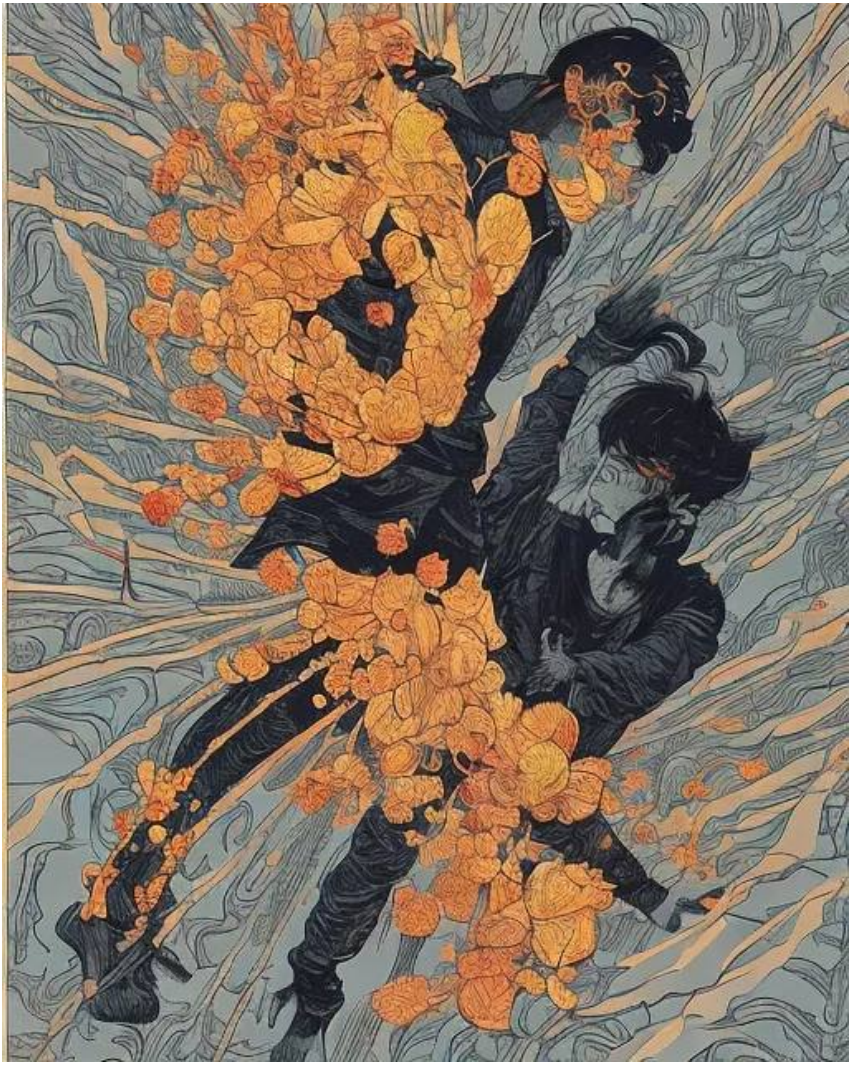

"ربّما بعض الأشياء

مآلها الكتمان

و ربّما يجب أن لا تفهم"

الباب السّابع عشر

متّ و الحمد للّٰه

الوصيّة الأولى: متّ

الوصيّة الثّانية: أحمد اللّٰه موتي

متّ

متّ يا عزيزتي
متّ
و لن تدر أبدا ما قتلني
لن يعرف أحد
لقد قتلتموني أنتم الإنس
فماذا كان ذنبي؟
لماذا استفززتم ما فيّ؟
أفعلت لكم شيئا يا معشر النّاس؟
أاقترفت إثما أو خطيئة في حقّكم؟
أقتلت عائلتكم؟
أقطعت عليكم رزقكم؟
أجيبوني
...
...
...
لكنّكم أموات عاجزون عن الكلام
أموات أحياء
أموات عاشوا على أكل أحشاء أمثالي

أردتم استهلاك إنسانيّتكم
و ما الّذي كان مصبّ جامّ كرهكم و وحشيّتكم؟
أنا و أمثالي
أنا
أنا الّذي كنت ضحيّة الوحشيّة
أنا الّذي أصابتني سهامكم
أنا الّذي كنت لكم خير الصّديق
أنا الّذي كنتم له شرّ العدوّ الشرّير
فقتلتموني
و جعلتم من جثّتي أكلا لذئابكم بل كلابكم
حتّى ما تبقّى من متاعي أحرقتموه
و جعلتم منه نارا لتدفئتكم
حتّى أنت يا عزيزتي
رغم طيبة قلبك
و رغم عدم رغبتك لقتلي
لقد قتلتني يا عزيزتي
آه أنظري إليّ
محطّم متآكل
جعلت من صغير الأفعال
كبير الأمراض و المشكلات
نعم، كلامك صحيح
أنا الّذي أتوهّم المشكلات

أنا الّذي أتوهّم أنّني ميّت
أنا ما زلت حسّاسا
صحيح يا عزيزتي ما قلت
أنا الّذي جعل من ظلّ الفأر أسدا
و من النسمة عاصفة
و أنا هو الذي
غرزت السكّين في قلبي
لا أنت
فاعذريني يا عزيزتي
اعذريني على لومي لك
ها أنا سأموت
مهلا
...
...
...
أنا ميّت بالفعل
ميّت و الحمد لله !

أحمد الله موتي

يا إلهي
يا إله العالمين
الحمد لك
الحمد و الشّكر لك
ألف حمد و شكر لك يا اللّه
أتعلم لماذا يا أيّها القارئ؟
أتعلم لماذا أحمد اللّه؟
صحيح أنّه يجب دائما أن نحمده
لكنّني أحمده
مرّة و ثانية و ثالثة
لأنّه خلقني ميّتا
ليس ميّتا حيّا مثل الآخرين
بل ميّتا سائرا
حيّا ميتا
يسير بقدميه في هذه المدينة
و قد ضخّ قلبه وقود الحياة في عروقه
و رغم ذلك مازلت ميّتا أسير !
أراك مستغربا يا سيّدي القارئ

لكن لأقل لك
أنّ الميّت السائر ليس بحيّ
و ليس الحيّ بميّت سائر
فأنا كمدت مشاعري
و كلماتي
و حركاتي
و كلّ ما يخصّ طبعي الإنسانيّ
قتلت كلّ ذلك منذ زمن
و قد أراحني ذلك
أتعلم لماذا؟
لأنّه حين أرى غيري
من الأموات الأحياء
و هم يتعذّبون بل يحلمون
في عالم مبنيّ على كذباتهم
و عندما تنتهي صلاحيّة المعلّبات المغشوشة
و تفسد هذه الكذبات
ستهدم تلك العوالم
و سيواجهون العالم القاسي
عالمي
ليس العالم الّذي صنعته
فإنّما ذلك العالم ملكي و ملكي وحدي
و لن تصله يد آدميّ

لأنّ أحدا لن يستطيع
لن يستطيع الوصول إليه حتّى
فعاملي لا تسع أيديهم الوصول حتّى أقلّه إلى أعمدته
و إن حاولوا هدم أعمدتي
لن يقدروا
لن يقدروا على هدم الحجر
و لا الحديد
و لا الحقيقة و لا الإيمان القويّ
و ها أنا أحمد الله
لأنّني رأيت وجه الحقيقة الوحشيّة
قبل أن يشتدّ عودي
فلن يستطيع أحد كسره
مادمت عارفا حركاتهم مسبقا
فالحمد و الشّكر لله لأنّني متّ
لكن في قلبي
غصّة
ليس مصدرها موتي
بل رثائي لغيري
لغيري من الأموات
الذين سيعانون من بعدي
مرارة الموت بعد الحياة
فأنا لم أعش حياة

حتّى أشكو المرارة و أبكي الحلاوة
فالحمد لله
لأنّني مت !

الباب الثّامن عشر

القبور و مالكها

المخاطبة الأولى: القبر

المخاطبة الثّانية: الإيجار

القبر

أهلا أعزّائي
أهلا بكم
أتيتم لزيارة قبري
أليس كذلك؟
وقد أحضرتم صغيركم لرؤيتي
ما شاء الله عليه
ماذا قلت يا عزيزي؟
أتتساءل لمل أنا ميّت في قبري؟
آه
آه يا صغيري
لم يسألني أحد هذا السؤال منذ متّ
صحيح أنّني قد سئلت
لكنّني سئلت
لماذا تلوّنت بالأزرق
لماذا قتلت الابتسامة
لماذا جعلت للكآبة غرفة في منزلي
و لم يسأل أحد عنّي
لم يسأل أحد عنّي

لم يسأل أحد عنّي
إنّ ما تسمّونه الكآبة
ليس لقلّق الرزق
ليس لفراق الحبيبة
ليس لهذا و لا لذاك
إنّما هذا تأثير الوحدة القاتلة
كانت تفتك بي منذ رأيت النّور
كانت تأكل أحشائي
و لم تروا ذلك أبدا
لأنّكم عاجزون عن ذلك
و لكن ما لم تعجزوا عنه
هو انتشالي مكن وحدتي
و قتل هذه الوحدة مرّة و إلى الأبد
ارتأيتم فيّ مجالا لاستهلاك طبعكم الإنسانيّ
و رغم الوحدة القاتلة
و رغم الدنيا القاتمة
و رغم النّاس الآثمة
مازلت على قدميّ أسير
لكنّ أحشائي تآكلت
و لم أستطع الأكل
لأكنّ النور انقطع
و لم أستطع الرؤية

لكنّ الخير انقطع
و لم أستطع التعايش
فمتّ
متّ و الحمد لله
متّ و خلدت في قبري
سعيدا حزينا
مشرقا مهموما
لا أفهمكم و لا تفهمونني
إلى أن تدقّ السّاعة
و تأذن لكم للخروج من سباتكم
أفهمت الآن يا صغيري
لما أنا ميّت؟
أعذرني على تشويه طفولتك و شبابك و كبرك
لكنّني أسديت عليك معروفا
فالمشوّه لا تقتله الدنيا
بل الدنيا تشوّه الميّت
شوّهتني !

الإيجار

و فجأة
بينما كنت أغطّ في نومي الأبديّ
أفقت على صوت حفر
و فُتح باب التّابوت من حيث لا أدري
صحت في وجه الفتى
"مالك توقظني من سباتي
و تنتزعني من حضن العدم
و ترميني في كابوس الحياة؟"
و عندما اتّضحت الرؤيا
لم يكن الزّائر أحد الفتيان
إنّما كان صاحب القبر
يريد منّي أن أدفع إيجار المكان
قلت له
"يا سيّدي أعذرني على تأخيري
إنّ ذلك لفقري
أنظر إليّ
صعلوك معدم الحال
لم أذق يوما راحة البال
أقصى أحلامي أن أجد ما أقتات

و لا أجد من الأكل سوى الفتات
فأعيش على استهلاك الأحلام
و كلّ ما اختصّ به لفظ الأوهام
صدّقني يا سيّدي صدّقني
لا أحمل معي مالا يا سيّدي صدّقني "
و لفظت الكلمات الأخيرة
و قد سُحق وجهي تحت الجزمة
سحبني المالك من قبري
و سلخني عنه سلخا
و قال لي
و علت وجهه نظرة
لم أر لمقدار العدم فيها مثيلا أبدا
"كم تقزّزني أنت و أمثالك
و لا أعلم لأي غاية وجدتم
أخلقتم للفقر عبيدا
أم للمذلّة رهائن؟
تجوبون طرقاتنا
و تطرقون أبوابنا
بحثا عن رزق بلا عرق
أمّا الآن
فلا داعي للعب دور الضّحيّة
فأنتم ضحايا

ضحايا ضعفكم
و ما عاد لنا جهد للتّكفّل بكم
فها قد حان أوانك
فاذهب و واجه العالم
لعلّك تتعلّم شيئا من المروءة
و تقتل شيئا من جبنك"
جمعت دموعي و مأساتي
و ابتعدت عن المكان
أذرف دموع الضّعف
و رغم قسوة كلامه
و سواد قلبه
إلّا أنّني وجدت في كلامه بعض الصّواب
فأنا ضحيّة
و أخاف العالم
ولهذا أتيت إلى هنا؛
كي أختبئ من وحشيّة الحياة
لأنّ في كوني ميّتا هروب من الواقع

الباب التّاسع عشر

تخيّلات

الهذيان الأوّل: ماذا لو

الهذيان الثّاني: العالم لو نسجته أنا

الهذيان الثّالث: خيّل لي

الهذيان الرّابع: ليتني

الهذيان الخامس: الجمال

ماذا لو؟

ماذا لو تركنا تلك الحواجز جانبا
من بغض و حقد و كره
ماذا لو تمّ ذلك؟
أيكون العالم مكانا أفضل لنا؟
ربّما
لما التّردّد؟ حسنا، لأسباب
أسباب أهمّها ماهيّتنا
نحن إنس
خلقنا من طين
و تميّزنا عن بقيّة الخلق بالعقل
و الاستقلاليّة
و ظننّا أنّ تلك الاستقلاليّة هي مفتاح الحرّيّة
فإذ بها مفتاح لعذاب
مفتاح لسجن جهنّميّ
مفتاح لسجن ارتكز على عدّة أعمدة
من بغض
و حقد
و كره

و أنانيّة
و ما الّذي أجّج هذه النّار؟
بالطّبع
طبعنا الإنسانيّ
طبعنا المائل إلى الفضول
الفضول إلى ما سيحدث
الفضول الّذي حطّم إيماننا نحن الإنس
و مازلنا رغم ذلك
ندعوا أنفسنا بالعاقلين
نحن الّذين أفسدنا ما أخلفنا فيه
و خرقنا ما أمكننا من القوانين
القوانين و العادات و التقاليد
و جعلنا المنطق هذيا
و العقل جنونا
و الهذيان منطقا و الجنون عقلا
و من هذا اللامنطق ولدت
ولدت من رحمه أعمدة جديدة
أعمدة ترتكز إيهاما على ما يسمّونه الحرّيّة
فبئس هذه الحرّيّة
بئسها و بئسها و بئسها
و هل من المعقول إذا
أن نرتشف جرعة الأمل

في علم جعل من القبيح جميلا
و من الجميل قبيحا؟
سيعدّ ذلك من المخاطرة
فرغم تمسّك قلّة من أمثالنا
بجذورهم
بأعرافهم
بأصولهم
سيحاول كلّ العالم اقتلاع ذلك منّا
و أصبحنا المنبوذين القلّة
بعدما كنّا أصحاب الغلبة

أودّ أن أهنّئك يا عزيزي القارئ

فقد قرأت لتوّك أوّل كتاباتي

و قد سررت لأنّك قطعت كلّ هذه المسافة

و قرأت الكتاب و تقترب من نهايته شيئا فشيئا

استرح قليلا

و استعدّ

فالرّحلة مازالت لم تنتهي

العالم لو نسجته أنا

أفتح عينيّ
فأرى
أرى العدم الأبيض
و بيديّ منسكان
و في سلّتي كرات من الألوان
عدد لا متناهي
من الألوان السرمديّة
و في ذهني هدف واحد:
أن 1أعيد نسج العالم
لا
أن أنسج عالما جديدا
فأتدثّر بدفئه لأقي نفسي من ببرد الواقع القارص
...
...
...
بدأت النّسج
كانت بداية موفّقة رغم جهلي
جهلي بقواعد النّسك و النّسج

نسجت عبثا
و لكنّه كان عبثا جميلا
لم أدر ما كنت أفعل
أرى خيطا فأربطه بخيط
أرى نقصا فأصلحه مباشرة
أفعل ما يخطر على بالي مباشرة
نظرت إلى السّلّة؛
تكاد ألوان السّلام تنفذ
و مازالت ألوان الحرب غير ملموسة
قلت لنفسي؛
كيف لي بعدما نسجت عالما
عالما يسوده السّلم و المحبّة
كيف لي أن أنهي هذا العالم بالكره و الآلام؟
و كيف للأبد أن ينتهي بهذه السّهولة؟
عندها أدركت شيئا
عندها أيقنت
أنّ الألوان لم تعدّد لأختار واحدة منها
فكلّها تعمل بعضا مع بعض
و أيقنت
أنّه لا سلم دون حرب
و لا محبّة دون كره
و لا نور دون ظلّ

عندها
رفعت رأسي إلى السّماء
ألقيت المنسكين على الأرض
و قلت
"سبحانك يا أيّها الخالق القدير
تقدر بكلّ سهولة
على ما عجزت عنه أنا و أمثالي
خلقت من السّواد بياضا
و من البياض سوادا
سبحانك أيّها الخالق
سبحانك
أنت الوحيد الواحد القادر على نسج عالم متكامل"

خيّل لي

استيقظ
استيقظ أيّها الفاني
فأنت في منتصف المحيط
كأسك فارغ
فعبّئه بالمياه حولك
استيقظ
هناك حريق
المكتبات تحترق
ارم بما في كأسك من مياه لتطفئه
...
و لكنّه ليس كافيا
ارم بالكأس
و ائت بالمحيط
و الآن أغرقت العالم
ماذا فعلت يا أبله؟
خذ هذه القشّة و اشفط المياه
و ها قد عاد العالم
و لكنّك انفجرت

لملم جثّتك
فلم يأذن لك أحد أن تنفجر
أنظر
امرأة تعزف الكمان
و الجمع كاملا يرمون بمنازلهم في النّار
و لكنّك لا تشتمّ الموسيقى
بل تشتمّ حريقا
اشتعلت المنازل
و لكنّ النّار خفيّة
ليس لك يا أبله
بل لهم
ائت بكمان
و اعزف هذه المقطوعة
لا تذكرها؟
أين ذاكرك هل خانتك؟
خانتك مع المرض؟
طبعا،
فأنت أبله
تركت المرض يسرق منك ذاكرتك
و كان بيدك الحلّ؟
ألم أعطك الكأس؟
فارمه على المرض

فهاهو المرض يسقط على الأرض جثّة هامدة
و أين ذاكرتك؟
في المدينة المجاورة؟
آه أجل
الذّاكرة مدينة لا تنام
كان يجب أن تقتل لسانك
فأنظر الآن ماذا فعلت؛
ذهنك يشتغل ليل نهار
ليجد ما أضعته
هل تذكر ما أضعته؟
السّعادة؟
و منت أين لك بالسّعادة؟
لا يهمّ
خذ هذا المخدّر
و تناوله
و اعبث بما لك من أيدي على أوتار الكمان والعصا
نعم...
هذه موسيقى
و لكن أين الحشد؟
يا لك من أحمق
أضعت عمرك في مطاردة الأوهام
و ها أنت،

أحمق وحيد ... أحمق وحيد كئيب...
أين الثّور
أم أصبع الزّاعم بقرة؟
بل كان دجاجة
...
أين ذاكرتك؟
وجدتها سكيرة؟
ألم أنبّهك ألّا تتجرّع الذكريات لأكثر من نصف ساعة؟
و الآن ذاكرتك سكيرة
أنظر ماذا فعلت
و الآن يجب أن ندفنك
فما الإنسان دون ماض؟
لا ماض، لا حاضر
لا حاضر،لا مستقبل
لا مستقبل، لا إنسان
فما أنت؟
وجدتها؛
أنت إنسيان
مزيج الإنسان و النّسيان الإنسيان
لكنّ ذاكرتك تصرّ على الوجود
فمبروك لك، أنت إنسان
و لكنّك الوحيد في الغرفة

لا، لست إنسانا
بل آلة ذاتيّة الإدراك و الإصلاح
و الآن ائتني بكأس
و أريدك أن تضع الشّمس في الكأس
"مستحيل؟"
بل ممكن
اخلع النظّارة عن عينيك
و امسك بالشّمس
و ضعها في الكأس
و ذاكرتك...
في صراع مع الزّمن

ليتني

ليتني
ليتني لم أفعل ما فعلت من قبل
ليتني لم أولد إلى هذا العالم
ليتني لم أمش على اثنين
ليتني لم أتعلّم عدّ الأرقام و صفّها
ليتني لم أتعلّم أبجديّتي
ليتني لم أتعلّم مسك القلم
يا ليتني متّ لحظة ولادتي
لكنّها مأساة لوالديّ و وفاة
لا بأس إذا
يا ليتني سقطت عندما وقفت على اثنين أوّل مرّة
لكنّها مأساة للرّضيع و تشويه
لا بأس إذا
يا ليتني عجزت عن عدّ الأرقام
لكنّها مأساة لعقلي و تجريم
لا بأس إذا
يا ليتني لم أتعلّم أبجديّتي و أفقهها
لكنّها مأساة لمجتمعي و عار

لا بأس إذا
يا ليتني لم أتعلّم مسك القلم و الكتابة
لكنّها مأساة لروحي و قتل لها
لا بأس إذا
آه
آه أنظر إلى حالي يا سيّدي القارئ
أردّد لا بأس، لا بأس، لا بأس، لا بأس، لا بأس
و كلّ البأس في قلبي
آه
آه لماذا آه لماذا أناقض نفسي
لماذا أناقض السّعادة مأساة
لماذا أناقض المأساة سعادة
يا ليتني
يا ليتني متّ
يا ليتني قتلت روحي
قبل أن تحسّ
قبل أن تتألّم
قبل أن تتحسّر الآن قبل الحروف
و يا ليتني أنام
فالسّاعة متأخّرة جدّا
يا ليتني أنام
لكن لا أستطيع

فلا بأس إذا

لا بأس

لا بأس

لا بأس

لا بأس

لا بأس

الجمال

أفقت في منتصف اللّيل كعادتي
و لم أقوى على القيام من سريري
فأخذت نفسا عميقا و شرعت في التّذكر
حاولت و حاولت إلى أن اصطدمت بشيء
أذكر أنّني سُئلتُ يوما
أيّهما جميل
هذا أم ذاك
أجبتهم هذا
فقالوا و قالوا و تفنّنوا في النّقد في حقّي
أجبتهم ذاك
فأكثروا القول و النّقد في شأني
سكتّ
فأغرقوني في بئر من النّقد و القول و الذّم
...
قلت لهم
هذه نظرتي للجمال
و في ذلك جمال
جمال الاختلاف

جمال أن لا نكون بنفس الدّائقة
جمال أن لا نكون بنفس اللّون
جمال أن لا نكون بنفس الشّكل
فإنّ التّطابق يعطي لونا واحدا
لوحة ذات لون واحد أزرق كئيب
و لكنّ
لكنّ اللوحة متعدّدة اللّطخات
ذات أشكال متنوّعة
و ألوان زركشيّة
و أذواق مختلفة
يتجمّع حولها العامّة
و تصبح عملا فنّيّا
فنّا جميلا
أليس ذلك جمالا؟
و إنّ في سكوتي جمال
أليس الصّمت سيمفونيّة
يستطيع استطعامها الجميع؟
أليست متاحة للعموم؟
بلى
لكن للأسف
لا
إنّ الصّمت اليوم أصبح فنّا نبيلا

و أصبح لفهمه علم و مدارس
ذلك الصّمت
فيه جمال لا تستطيعون رؤيته حتّى !
و إنّ فيما سُئلتُ
سألتموني أيّهما أجمل
فهاهي إجابة صريحة
لا أحد فيهما جميل
بل كلاهما جميل
أرى حينا هذا أجمل من ذاك
و حينا آخر ذاك أجمل من ذاك
و تسألونني لماذا؟
إنّني إنسان مثلي مثلك
أتلوّن كلّ لحظة
في كلّ لون نظرة مناقضة لأخرى
فليس لي لون ثابت
و الأخصّ بالسّؤال الأشخاص ذو اللّون الأسود أو الأبيض
بل لا
لا تسألنّ أحدا
فإنّ في ذلك خطأ
و حكم مسبق
فاصبرنّ
و إحفظوا رأيكم لأنفسكم

الباب العشرون

مخاوف... مخاوفي

الخوف الأول: أخاف الظلمة

الخوف الثّاني: أخاف النّور

الخوف الثّالث: شيروفوبيا

أخاف الظّلمة

لا تطفئ الأنوار يا سيّدي
أرجوك يا سيّدي أرجوك
لا تطفئ الأنوار يا سيّدي
إنّني أخاف الظّلمة
أخاف سواد الظّلام
أخاف أن أفقد الإحساس بما حولي
أخاف أن أُصبح مجنونا
أخاف أن أصبح أعمى
أخاف أن لا أقوى على التحرّك
أخاف أن أكون وحيدا في هذه الظّلمة،
أخاف أن أُترك وحيدا لحالي
أخاف أن أنادي كلّ الأسماء الّتي حفظتها عن ظهر قلب
أخاف أن لا يجيبني أيّ منها
أخاف أن لا أكون وحيدا في الظّلمة
أخاف أن أكون مراقبا
أخاف أن لا أرى ما يراني
أخاف أن أُطعن من الخلف
أخاف... أخاف أن تقتلني الظّلمة و أن تدفنني دفن المنسيّين بين طيّاتها

أخاف النّور

أغلق الأنوار
أغلق الأنوار حالا
لم أعد أحتمل الضّوء
لم أعد أستطيع التحمّل
هاج روحي و ماجت
تريد روحي أن تهرب من قفصها الأبديّ
إلى مكان أكثر أمانا
إلى مكان مظلم
حيث لا تستطيع أيّ يد آثمة الوصول إليها
لقد تعرّضت روحي إلى أشعّة الشّمس لوقت طويل
و احترقت تحتها
لم أستطع التعرّف عليها بعد ذلك
إنّني أخاف النّور
أخاف أن تتّجه كلّ الأنوار صوبي
و أن ينظر عليّ الجميع
و لا أدر ما أفعل آنذاك
فأبدأ بالبكاء
و أصبح أضحوكة
أضحوكة يخاف الضّوء

شيروفوبيا

أصبحت خائفا
خائفا يا عزيزتي خائفا
خائفا من السّعادة
و الضّحك و البهجة
و كلّ ما يفرزه القلب من الأحاسيس "الجيّدة"
أتعلمين لماذا؟
لأنّ راحة البال لعنة لا نعمة
فحال أمثالي و حالي
كحال الّذي يحسده الآخرون لامتلاكه ماءا
فيضطرّ لرميه و هو في أمسّ الحاجة إليه
أترين يا عزيزتي؟
أن هم رأوني سعيدا مبتهلا
استعانوا بالألسنة و الأفاعي
و بالمواقف القائمة على منطق بائس
و أنكدوا عليّ فرحتي
تريني سعيدا معهم
أتعلمين لماذا؟
لأنّهم يتغذّون على سعادتي و حزني

ليس لأنّهم يشاركونني أفراحي
بل يصنعون من سعادتي مأساتي !
و إنّي مازلت أتبسّم
لأكون مقبولا
فالعابس يكون منبوذا
في أرضهم
و إنّي مازلت أخالطهم
لكي لا أكون منبوذا
فالوحيد يكون منبوذا
في أرضهم
و ها أنا أوقّع كتاباتي بدمي
فأنا آمن دمي عندك
بدلا من أن يشربوه
من كأس مأساتي
شيروفوبيا

الباب الحادي والعشرون

و الأخير

الأول: الأخير

المصرع الثّاني: آخر المقام كما أراه

الأخير

مرحبا يا قارئ كتاباتي
أهلا و سهلا يا عزيزتي
أرى أنّك قد وصلت و أخيرا
و الحمد للّه أنّك فعلت
شكرا لأنّك قرأت ما كتبت
فبفضلك يا عزيزتي
ها أنا أكتب
أكتب و أرى في كتاباتي
شبح الأبنودي من قبلي
"أنا عندي فكرة
عن المدن لي بيكرهّا النّور"
"و أظلّ و نظلّ أيّام و ليالي
نحلب ذلك الحلم لشهور"
"منا على الرّصيف
مذلّتنا مذلّة الرّغيف
نباع نحن و الوطن
بسعر رخيص
منظرنا كمنظر التّعيس

بل نحن أتباع التّعيس
بل أنا التّعيس الكئيب"
و أردّد وراءه و وراء سقراط
و أنفاسي قد سرقها الإحباط
"ما أتعس الإنسان
ما أسعد الحيوان"
...
و لو كان بالإمكان
لأوقفت مجرى الزّمان
و بكيت في كلّ مكان
ما نلت منه سوى الحرمان
أتعلمين لماذا؟
لعلّني أشعر أخيرا بالدّفء
...
و يطلب منّي الإلهام
و كلّ ما ينتمي لمعجم الأحلام
أنا الّذي لم أحظى بلحظة سلام
ما خضت حربا، إلّا و كلّها آلام
و رغم ذلك يذكر عنّي
أنني الّذي أعطى للبائس حلما
و للوحيد صديقا
و التّعيس سعادة

و المحتاج إعانة
أنا الّذي كنت بحاجة لشيء
أجد نفسي أعطيه لغيري
و أجد أنّ ذلك لطيبة قلبي
طيبة أشبعت غيري
و تركتني للجّوع وحدي
...
أردّد هذه الكلمات
و أمضغها حتّى سئمت المضغ
أنا السّعيد الكئيب
أنا الصّحيح العليل
أنا المعافى المريض
أنا
...
و ها أنا أناقض نفسي
و كلّما حاولت التّأييد
أجد نفسي أناقضها
تارة أشرب من كاس الحياة
و أخرى ألتفّ بالقماش الأبيض
و كأنّني في صراع مع نفسي
ما بين الوجود و العدم
...

آخر المقام كما أراه

سنموت
كلّنا سنموت
سنموت كلّنا دون استثناء
عاجلا أم آجلا
نموت كلّنا
و نُدفن تحت التّراب نفسه
لا مال
و لا أملاك
و لا أبناء
و لا جاه
جئّتك عارية
ملفوفة في القماش الأبيض
تحت التّراب
إذا، فحياتنا عدم
فما الفائدة من تكديس الأموال
إن سيجيء يوم ما و تفقدها في رمشة عين؟
لا
بل هناك فائدة

إنّنا نحيا
ليس عبثا
بل لدافع
و ما دافعنا؟
تعمير الكون
بدءا من غرفتك الصّغيرة
فاعمل يا عزيزي
اشتغل عملا أو تقلّد حرفة
و عش حياتك
لا تعشها في سبيل النّشوة
بل في العطاء و تخليد اسمك
اجعل اسمك خالدا في كتب التّاريخ
و ليس بذلك أعني الشّهرة
بل اجعل نفسك موجودا
مذكورا عند أحدهم
فنحن لا نموت إلّا عندما ينسانا الجميع

الباب الثّاني و العشرون

النّهايات

المخرج: النّهاية

النّهاية

ها أنت تبصر النّهاية قريبة
تبصر بعينيك الذّابلتين من القراءة الضّوء
تبصر الضّوء كما لو كنت في نفق مظلم لساعات
لأيّام
لأشهر
لسنوات
و أنت كذلك فعلا
ها أنت تبلغ النّهاية
نعم يا أخي،
لقد بلغنا نهاية من النّهايات
قد تكون النّهاية
إنّما ليست نهايتك
فهذه لي أنا
إحدى نهاياتي
نهاية لتخيّلاتي
نهاية لما أنا عليه
و الأجدر القول ما كنته
لا أدري حقّا ما يجدر بي قوله

فلم أتوقّع أن تكون النّهاية قريبة
كلّنا فعلنا
أليس كذلك؟
رأينا اللاّفتة على قارعة الطّريق
تقول بخطّ أحمر عريض
و نبرة رخيمة و صوت مكتئب
"النّهاية"
و رغم ذلك نزال نواصل بكلّ شغف
نواصل الطّريق بكلّ همّة و نشاط أوتينا إيّاه
نحاول نقض ذلك و لكنّنا نفشل
إذ أنّ النّهاية لا مناص منها
كلّ له سلسلة نهايات
كلّما واجه نهاية أضافها إلى قاموسه
و انقضّ على كتاب جديد
أمّا أنا
فكنت أجمع النّهايات كلّها
و أكدّسها في رأسي
و أمضي في حالي
و أدّعي أنّ رأسي لا يتداعى
و لا هو على وشك السّقوط
و الآن
بلغت الحدود الإنسانيّة لي

انتهى هذا الفصل من حياتي عدمية الصّفحات
و حان الوقت لقلب الصّفحة
و إن لم تصل هذه الرّسائل لك يا عزيزتي
فاعلمي أنّ ملك الموت قد أتى لزيارة خلّ له
لزيارتي مرّة أخرى و ربّما أخيرة
سأهاجر قريبا يا عزيزتي
سأهاجر مع الفراشات الجميلات
و لن أعود أبدا
فها أنا أترك لك ما بقي من هذه الصّفحات كي تكمليها
أكملي ما حرّي بك إكماله من ذلك الكتاب الّذي تعاقدنا أبدا عليه
و ادفنيه حذوي
بل ادفنيه في قلبي
لعلّه في يوم من الأيّام يشتدّ بؤس أحدهم
و يأتي على قبري صدفة
و يروي هذا الأخير بدموعه القبر
فتنبت من جثّتي زهرة
و مرّي على قبري ذلك اليوم
و اقتطفي تلك الزّهرة
إنّما تلك بداية جديدة
ولدت من رماد النّهايات
و أرسل لك هذه الرّسائل
بكلّ محبّة و شكر أستطيعه

أودعك هذه الصّفحات
و أتركها عندك
اقرئيها
أنت و عائلتي و أصدقائي
و إلى اللّقاء
نتقابل عاجلا أم آجلا
في المكان الّذي تعاهدنا أن ننتهي فيه
معا
و السّلام لروحك النّقيّة

بعض الرّسومات الّتي تركها أحد المكتئبين في غرفته قبل أن ينتحر، بطعنة في القلب و طلقة ناريّة صُوّبت نحو الرّأس

"و في اسمك يا نفسي السّابقة رسمت هذه اللّوحات
لعلّك تجدين بعض الاهتمام من الفانين الّذين كانوا ليساعدوك
لولا تدخّل الفناء
فعيشي ثانية في هذه الألوان
عيشي مرّة أخرى و إلى الأبد في صفحات الأزل
خالدة إلى أن تقومي بدورك في هذا الكون
و تخلدي إلى الموت ثانية و إلى الأبد
في قبرك المريح، عالمة أنّك كنت"

التّناقض

ميّتة على الأرض يوم عرسها

تُخلق من الموت ألوان أخرى

يسلبك اليأس الكثير

لقد تفاقمت المشاعر

وجدت النّور و أخيرا

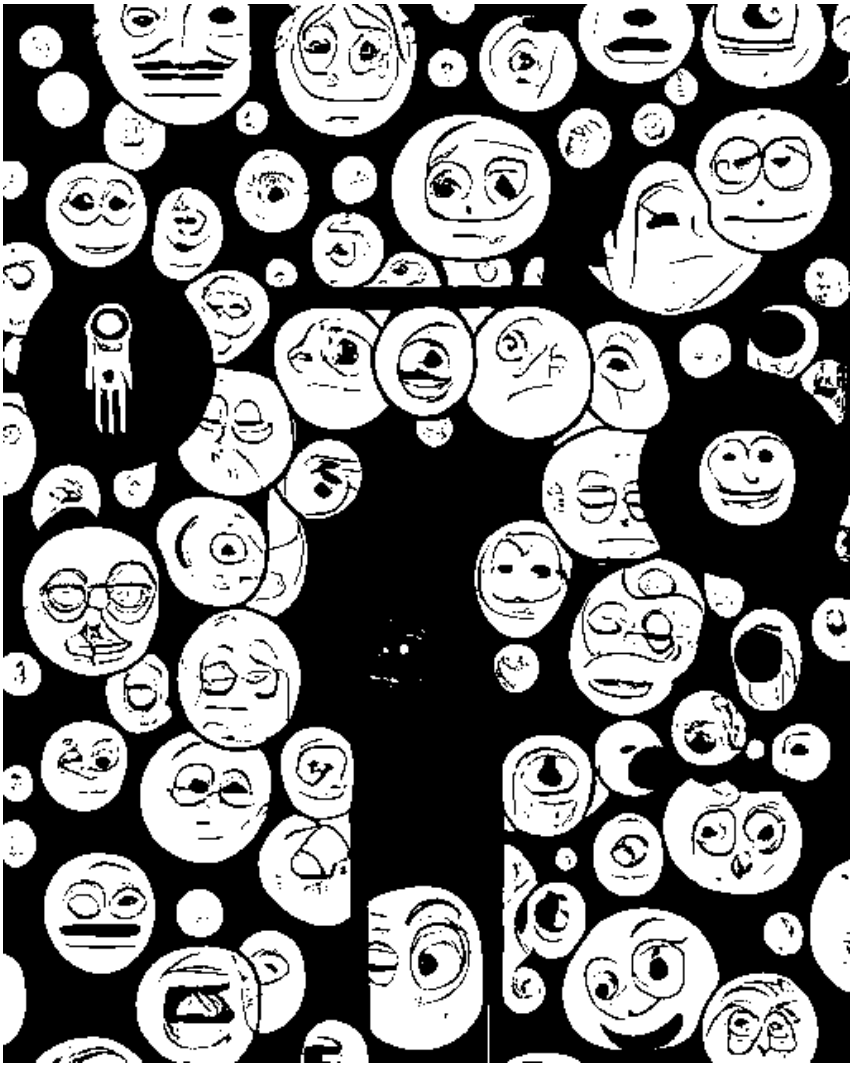

أنا نتيجة ما مضى على نفسي السّابقة

الضّحيّة

فقدان الهويّة

التّيه في الإفراط من التّفكير

التّيه في الحلم

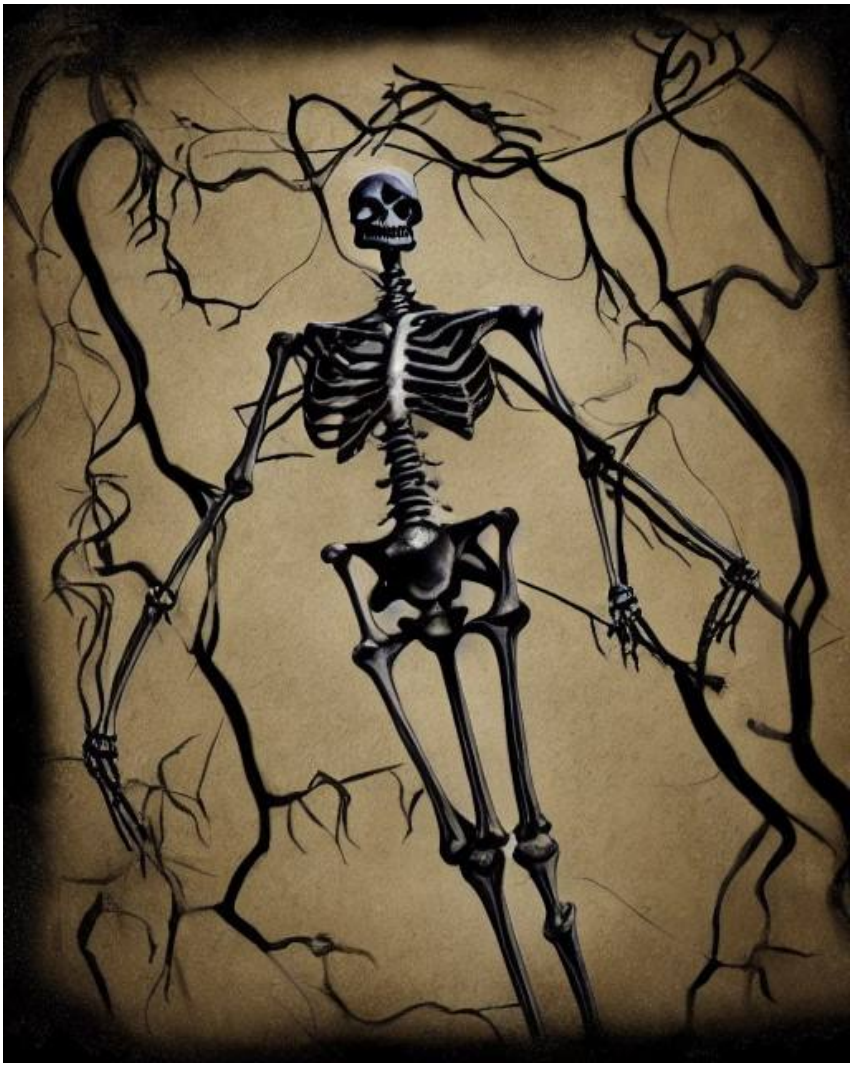

المحبّ

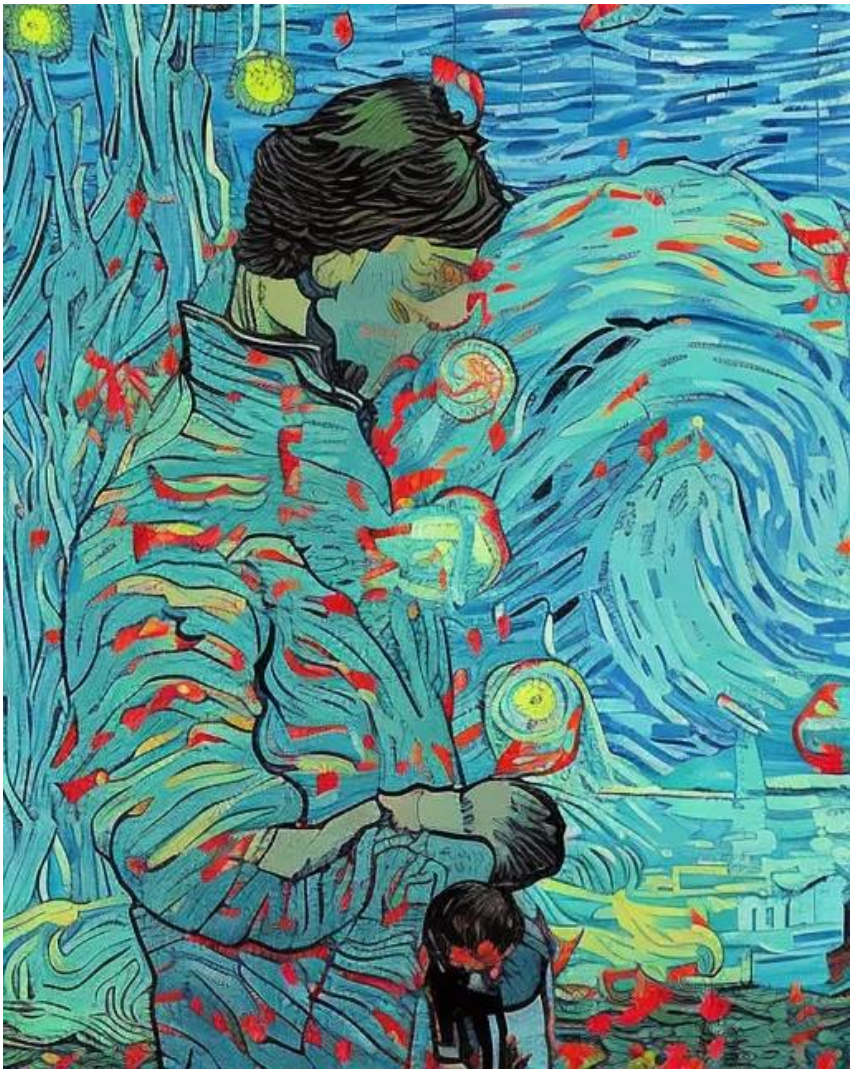

الكئيب

قمر الجمال

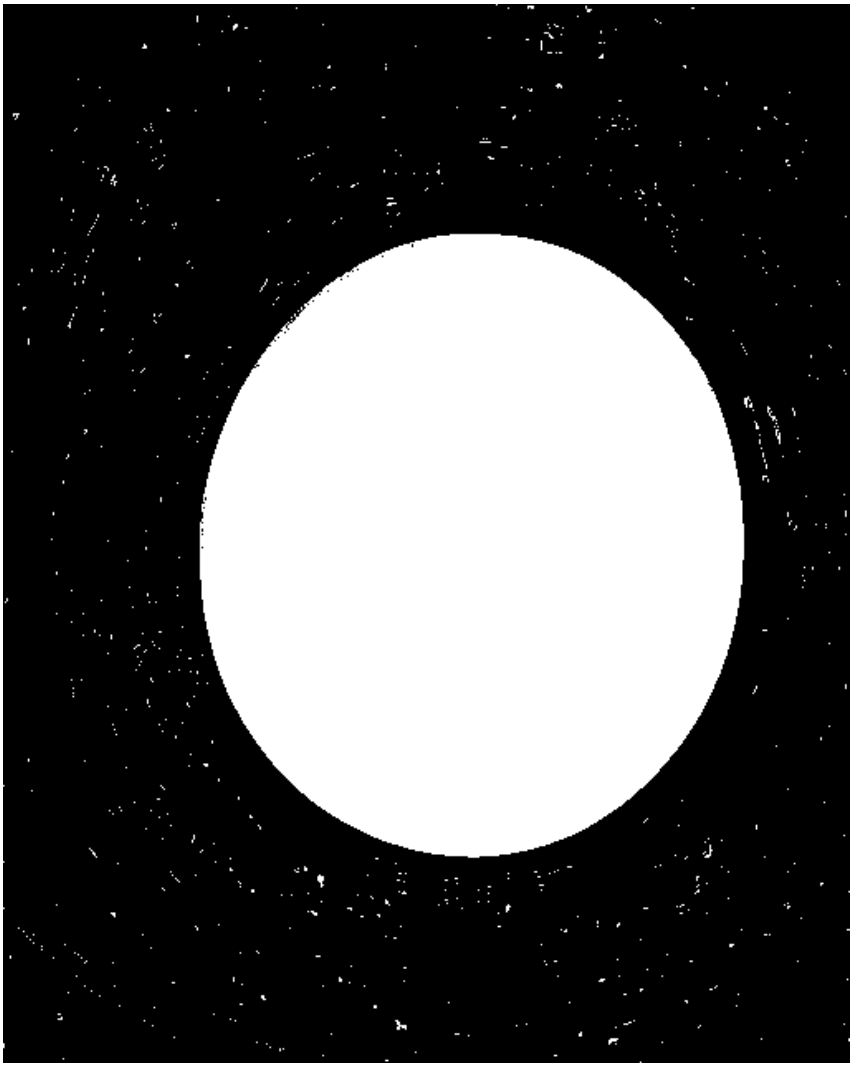

مهما حدث، سأتشبّث بيدك

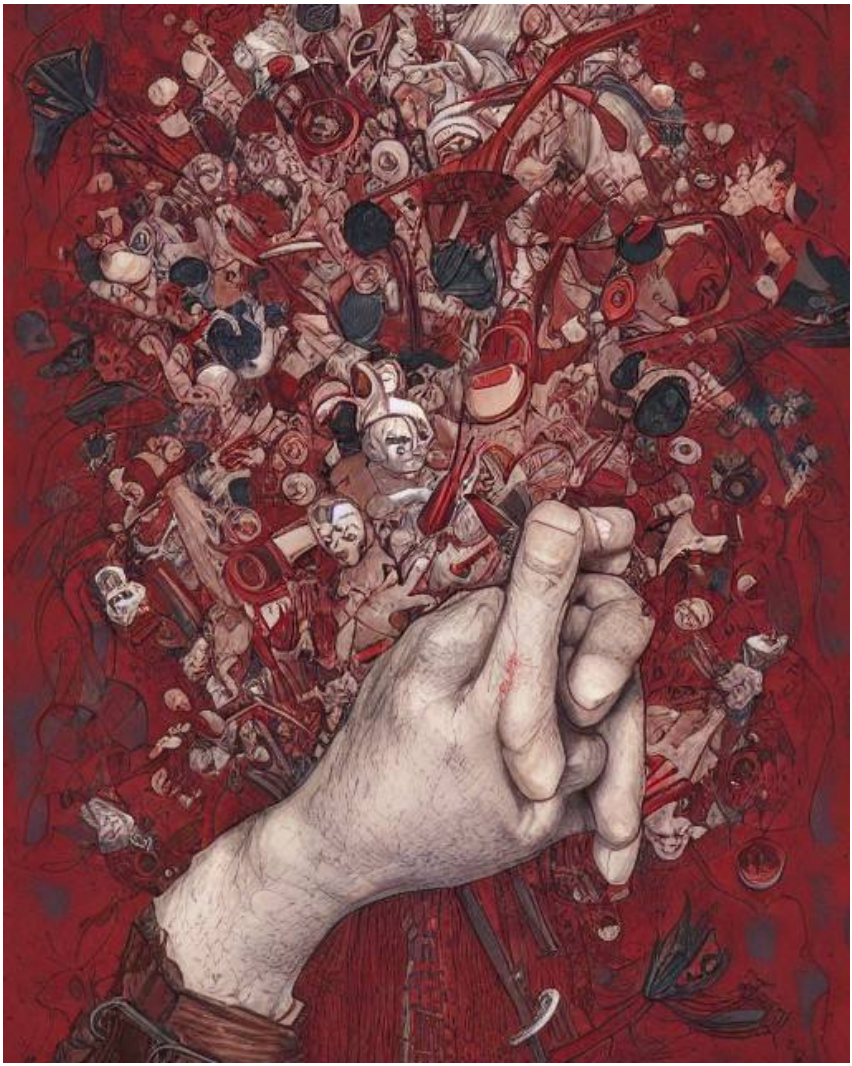

إدراك الذّات

الرّوح

الفنّان

صرخة الفنّان المتلاشية

الارتقاء

الدّورة

الموت

الحالم

الأحلام المثمرة آمالا

لقد أينعت الأزهار

حديقة المقبرة

الفتاة و القمر

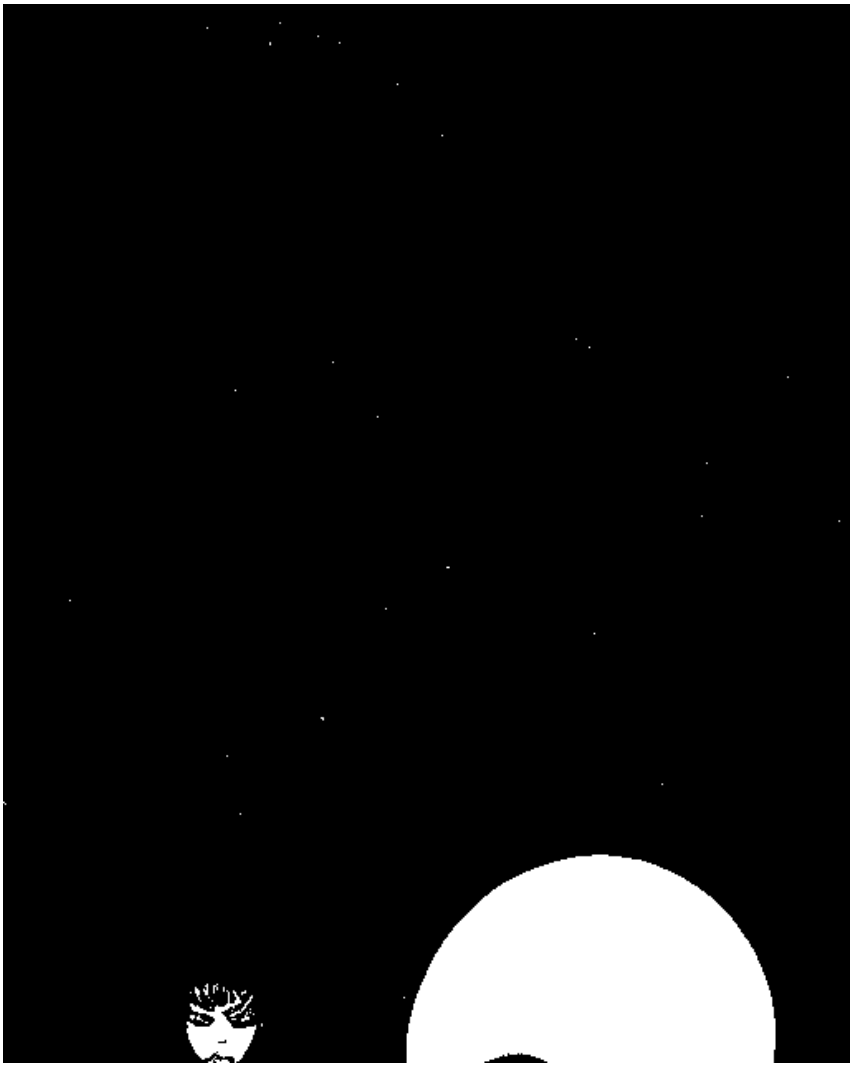

الحماية

الرّجل التّعيس

كلّهم جوعى

التّفكير

اكتسب التّفكير معنى

جذور الارتباك

الحرب

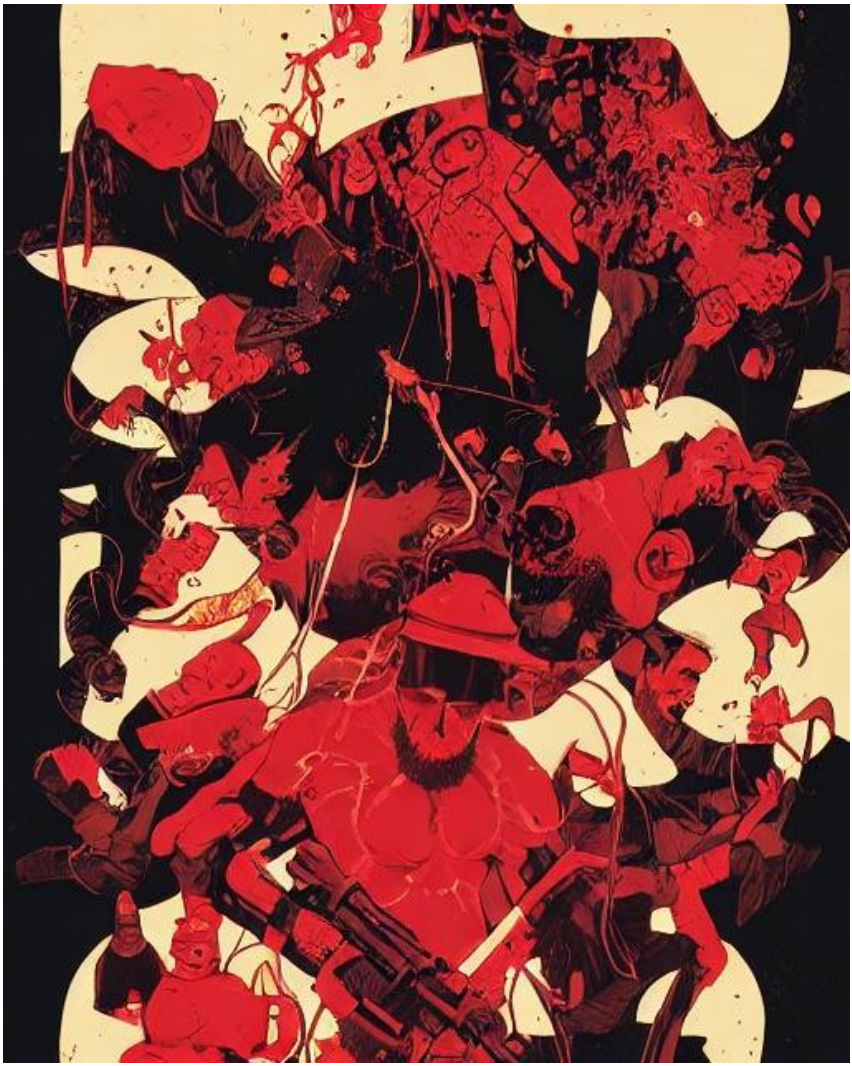

من أنت؟

ما الّذي أصبحته؟

من أنا؟

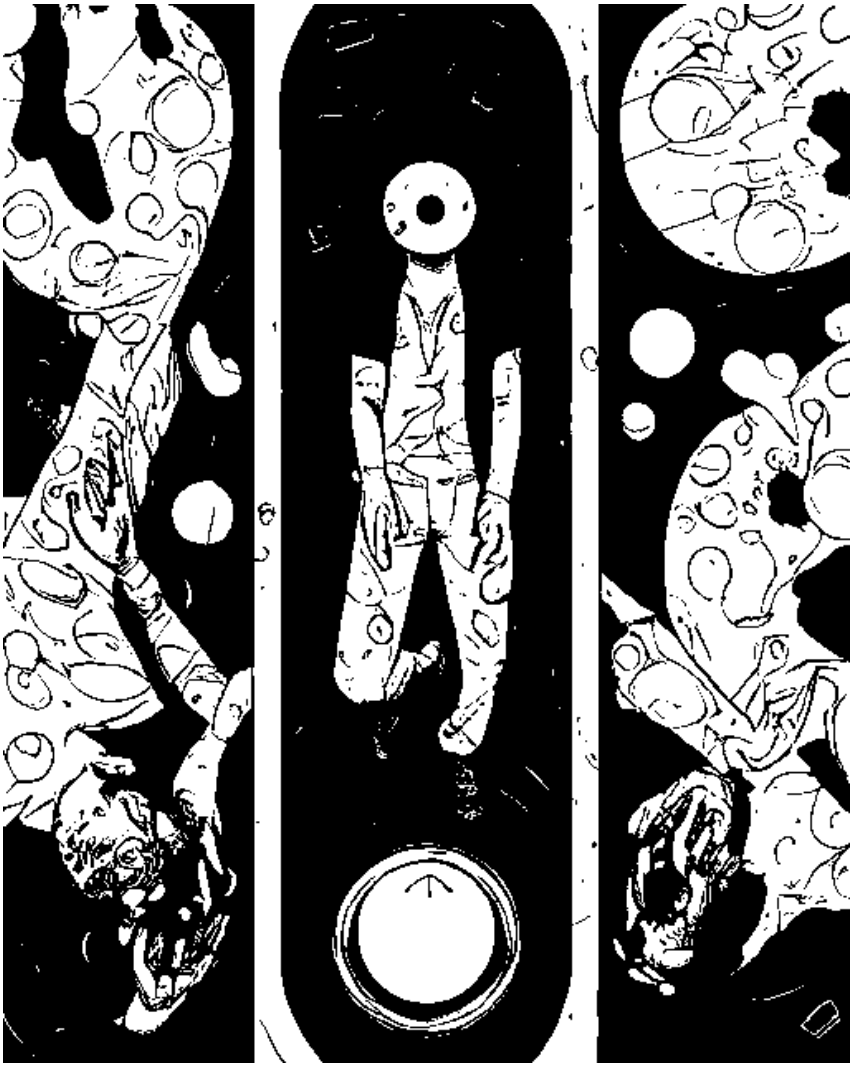

ليلة الانتحار

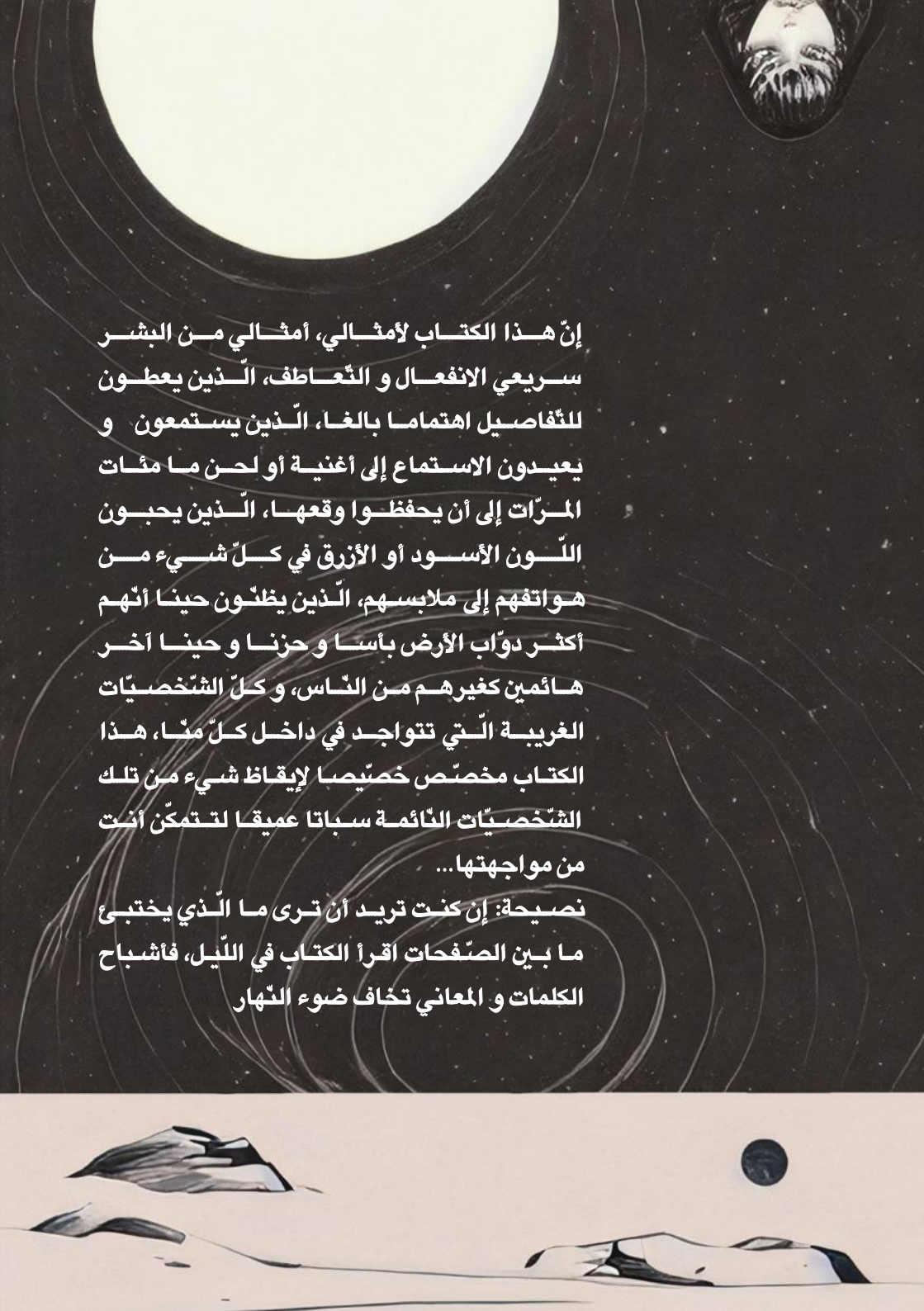

إنّ هـذا الكتـاب لأمثـالي، أمثـالي مـن البشـر سـريعي الانفعـال و النّعـاطف، الّـذين يعطـون للتّفاصـيل اهتمامـا بالغـا، الّـذين يسـتمعون و يعيـدون الاسـتماع إلى أغنيـة أو لحـن مـا مئـات المـرّات إلى أن يحفظـوا وقعهـا، الّـذين يحبـون اللّـون الأسـود أو الأزرق في كـلّ شـيء مـن هـواتفهم إلى ملابسـهم، الّـذين يظنّـون حينـا أنّهـم أكثـر دوّاب الأرض بأسـا و حزنـا و حينـا آخـر هـائمين كغيرهـم مـن النّـاس، و كـلّ الشّخصـيّات الغريبـة الّـتي تتواجـد في داخـل كـلّ منّـا، هـذا الكتـاب مخصّـص خصّيصـا لإيقـاظ شـيء مـن تلـك الشّخصـيّات النّائمـة سـباتا عميقـا لتـتمكّن أنـت من مواجهتها...

نصـيحة: إن كنـت تريـد أن تـرى مـا الّـذي يختبـئ مـا بـين الصّفحات اقرأ الكتـاب في اللّيـل، فأشـباح الكلمات و المعاني تخاف ضوء النّهار